



اختصار ترجمة العارف بالله
سيدي الحاج الأحسن البعقلي
رضي الله عنه

بقلم عبد ربه محمّد الامزالي غفر الله له



اختصار ترجمة العارف بالله
سيدي الحاج الأحسن البعقلي
رضي الله عنه

الجزء الأول

الكلمة التي ألقاها كاتبها ليلة الأحد
15 شوال عام 1426 هـ
الموافق لـ 13 نوفمبر 2005م
بالزاوية التجانية بدرب غلف بالدار البيضاء

صورة من النسخة الأصلية

بخط يد الكاتب سيدي محمد الأمزالي غفر الله له

وفيها إهداء

لمقدم الزاوية التجانية باب الخضراء سيدي الحاج الحبيب به حامد

لطف الله به

هذه نسخة من عيد ربه
محمد الامزالي الى الاخ
السريع سيد محمد الحبيب
ابن حاتم صلي الله

00000128

اختصار ترجمة (العارف بالله
سيدي الحاج الاحصى البعفي
رضي الله عنه

الكلمة التي افاضها كاتبها ليلة الاحد
10 سوال عام 1426 (2005/11/13)
بالزاوية التجانية يد رغب
بالدار البيضاء

عبد ربه محمد الامزالي
غفر الله له

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم.
وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد الفاتح الخاتم وعلى آله وسلّم.

الحمد لله الذي بنعمته تتمَّ الصَّالحات والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد سيِّد السَّادات ومعدن العلوم والمعارف والمعجزات وعلى آله وصحبه أهل خوارق العادات وجليل الكرامات.

أمَّا بعد، فإنِّي كنت سألت الأستاذ سيدي الحاج عبد الله الجرسيفي جدِّ الله عليه سحائب الرِّحمت، مرارا أن يجمع ترجمة للخليفة البعقلي رضي الله عنه، فيعتذر عن عدم إمكان ذلك ويستعظم ذلك الأمر ويقول: أمثلي يكتب عن هذا السيد؟ فأنتي لمثلي ذلك؟ ومرةً أجبني بقوله أن سيدي الحاج الأحسن رضي الله عنه استأذنه بعضهم في أن يكتب له ترجمة فقال له: ترجمتي في كتبي. وعلى هذا المهيح كان أكابر تلامذة سيِّدنا الفقيه لما يغمر قلوبهم من إجلاله وتعظيمه واعتقاد أنَّهم لا يقدرُون أن يوفِّوه حقَّه.

ولم يغامر في ذلك إلاَّ واحد من أكابر تلامذته وذلك بعد وفاته وبعد ما تيسَّر له من أخباره وتراثه وهو المقدمُّ البركة العلامة سيدي محمَّد الأمين الفطواكي رحمه الله، فقد كتب له ترجمة مفصَّلة وواسعة.

وإني اليوم سألقي على مسامعكم نبذة في الإطلال على أخبار هذا السيد السند ممّا انتقيته من كتبه وكتب تلامذته، وما تلقّيته مشافهة عن بعضهم. وجرّأني على هذا طلب ولده وخليفته العارف الأستاذ سيدي محمّد الكبير رضي الله عنه ذلك وأعتبر طلبه أمراً. وذلك أنّي كنت طلبت منه مع الإخوان بالزّاوية العتيقة بالزّباط أن يخصّص لنا محاضرة في ترجمة والده فاعتذر عن ذلك. ثمّ كلمته مرّة أخرى فاعتذر فقلت لماذا؟ فأجاب بتواضع وأدب: لا يليق بالمرء أن يمدح أباه. ثمّ أمرني بالقيام بذلك فامتثلت أمره ونبت عنه فبدأت بوضع ترجمة لهذا السيّد الكريم يسّر الله إتمامها. ثمّ طلب منّي منذ شهر أن أشارك بشيء منها في هذه المناسبة الكريمة.

ونظراً لضيق الوقت واعتباراً للإخوان الذين سيشاركون في هذه الليلة بعروضهم فإنني سأختصر الكلام وأذكر بعض المحطّات في حياة سيّدنا البعقلي الإمام ممّا تقرّ به العيون وتفرح به القلوب ويكون ذكرى وتذكّرة لمن يعرفه وإفادة لمن يطلب التّعرف عليه. ولعلّ الفرصة تتاح في المستقبل للتّعريض لترجمته بتفصيل وتوسّع لأنّها من أجمل التّراجم في الطّريقة وأهمّها.

والله أسأل أن يوفّقني لما فيه رضي هذا السيّد رضي الله عنه ورضاكم أجمعين وأن ينفعنا جميعاً التّفع العميم آمين.

قبل الدّخول في صلب الموضوع أودّ أن أقرأ لكم نصّاً من رسالة لصاحب التّرجمة سيدي الحاج الأحسن البعقلي رضي الله عنه يكون كالّتنبيه وإظهاراً لموقفه من الكلام على الكرامات والأسرار وهذا مناسب لهذه الكلمة إذ سيرد فيها من ذلك شيء كثير وكيف لا وهو رضي الله عنه كلّه خوارق وعجائب. قال نفعا الله بعلمه: والفضائل دوّنت وطبعت وبيعت عامّة في الأسواق خرجت عن الأسرار التي حضرت العلم الذي وجب إفشاؤه. فإنّ كتب الطريقة متداولة عند أهل الطّريقة وعند غيرهم، فمن تحدّث كما أمر الله ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فالأمر للوجوب، فمن أراد قبْلَهُ وإلّا تركه مسلماً ما لم يدركه فكره الكاسد. فغاية ما يدركه العقل الرّبّاني أنّ الملك لله يفعل ما يشاء. فكلّ ما كان معجزة صحّ أن يكون كرامة. فالكرامة بنت المعجزة: لا مطمع لأحد في مراتب أصحابنا حتّى الأقطاب الأكبر - نص في كرامات الطريقة - هلاًّ قلت له على رغم أنفكم.

فبشّروا أمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بهذه الدائرة الفضليّة ولا يَصْرِف عنها إلّا هارب الشّوم فمن شاء فليؤمّن ومن شاء فلا. فالمؤلف لا يريد من يستر بعض كلامه. فلا يترك المطر لأن يضر بيت العجوز. فالطريقة علم وسرّ والسرّ خارق للعلم ﴿وَدَكِّرْ فَإِنَّ

الذِّكْرَى ﴿ نافعة فإن لم تنفع الكثير ينفع القليل فالطريقة كلها كوجه رجل لا كوجه امرأة، فمن رمد اجتنب الصَّوء ولا يترك الصَّوء لأجله لشدة احتياج النَّاس إليه اهـ.

نسبه وعائلته وولادته ونشأته:

هو أبو علي الأحسن بن محمّد ابن أبي جماعة الإكبي البعقلي الوليتي، ينتهي نسبه الشريف إلى سيّدنا الحسن السبط بن سيّدنا علي وسيّدتنا فاطمة الزّهراء رضي الله عنهم أجمعين. فهم شرفاء حسنيون نسبهم صحيح ولقد أكّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صحّة هذا النسب لصاحب الترجمة حين صرّح له بقوله: أنت شريف (أكمار).

1- أمّا اسمه الأحسن: فهو الأصل الصّحيح وهو ما حرّفه العامّة إلى الحسن كما يقولون لصفّر ولحمر ولخضر. والأحسن من أسمائه صلّى الله عليه وسلّم كما في "الرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة" للإمام السيوطي رحمه الله وغيره. وأخبرني سيدي محمّد أكمار أنّ سيدي الأحسن قال له: ما سمّوني الأحسن حتّى صرت الأحسن.

2- الإيكيضي: نسبة إلى قرية (إيكيضي) إحدى قرى بعقيلة سمّيت بذلك إضافة إلى جبل (إيكيضي) الذي قامت عليه. وأهل هذه القرية صلحاء شرفاء ينتسبون إلى القطب المشهور السيّد الحاج بلقاسم (ت 971 هـ) وهو الجدّ الأعلى للفقهاء البعقيلي. وهذه القرية اكتسبت شهرة بمدرستها العتيقة ذات الصّيت الواسع والتي تخرّج منها كثير من العلماء والفقهاء.

3- البعقيلي: نسبة إلى إدوُبعقيل أو بعقيلة وهي فرع من مجموع قبائل إداوُلتيث المستوطنة في غرب الأطلس الصّغير (بلاد جزولة) والتي تهم ثلاث قبائل: اداورسموك واداوبعقيل واداوَسَمَلال. وهذه الأسماء كلّها ترجع إلى الأصل وهو الجدّ الأعلى الجامع لها وهو وُلتيث الذي رزقه الله ثلاث أولاد: وهم رسموك وسَمَلال وبعقيل.

وقبيلة بعقيلة مشهورة بثلاثة أشياء:

- كثرة علمائها،
- وكثرة صلحائها نساء ورجالا،
- وقوتها، رجالا وعدّة.

ولد الأستاذ البعقلي بقرية (إيكيزي) في مطلع القرن الرابع عشر وبها نشأ نشأة صالحة طاهرة في أحضان والديه الصالحين.
أبواه: الولي الصالح سيدي محمد بن محمد. كان كثير الكرم كثير البركة دخل معه ابنه يوما إلى خزين الأذخار فوجدا آيتي السمن والعسل فاضتا حتى ملئ البيت بهما.
وأخبر سيدي الأحسن أيضا أنه مرّ يوما بمحلّ دفنه بعد وفاته فخرج اليد وقال له: اجتهد واحفظ القرآن فإنّ الناس أرادوا فيك علوما كثيرة.
توفّي رحمه الله وعمر صاحب الترجمة ثمان سنوات (حوالي 1308هـ).

أمّا أمّه الشريفة العفيفة الذّاكرة الثّاسكة السيّدة عائشة فقد كانت فقيهة صالحة تكثّر من الذّكر وخصوصا الصّلاة على النّبّي صلّى الله عليه وسلّم وكلمة الإخلاص، فإنّها أخبرت ولدها أنّها كانت مواظبة يوميّا على ما يقرب من سبعين ألفا من الصّلاة التّبويّة وتذكر من الهيئلة عشرة آلاف، وهذا قبل أن تتمسك بالطريقة التجانية. وبسبب ذلك كانت كثيرة الرّؤيا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم

وأخبرت ابنها أن رجلا أتاها، وهذا في البداية، ودخل عليها وهي تذكر فألقت عليها نقابها واستحيت منه فقرب منها وهي تبتعد منه وصار يكشف نقابها ويتسم فعلمت أنه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم. وكانت لها كرامات كثيرة وأحوال عجيبة. وهي أول من أخذ الطريقة عن ولدها الأستاذ بعد رجوعه من عند سيدي الحاج الحسين الأفراني والقصة طويلة وملخصها أنه لما رجع من عند الأستاذ الأفراني وقد لقنه الطريقة وأذن له في إعطائها، أتته أمه وطلبت منه أن يعطيها ما أتى به من عند السيد الحاج الحسين لفُروني (هكذا) فضحك وقال لها: الأفراني. فقال لها لم آت بشيء، فقالت له: بل أتيت بالطريقة التجانية فإني رأيتك معه وهو يعطيها لك بمحضر النبي صَلَّى الله عليه وسلم. فقال: صدقت. فاستعطفته وسألته بحقها عليه، فقال: يا أمي لا أقدر أن أعطيك الإذن فسأصير شيخك وستكون لي حقوق عليك. فقالت: لا بد أن تعطيني أأنت أمك وحقِّي عليك أسألك بذلك أن تعطيني. فقال لها: هناك شرط. قالت: وما هو؟ قال: أن تفارقي المرابطة للأرقية (وهي أمه من الرضاة). فقالت: لا أقدر أن أفارقها. فقال هذا هو شرطي وهو الذي اشترطه علي سيدي الحاج الحسين. فلم تقبل. وبعد أيام

توفيت المرابطة المذكورة، فلنن لأمة الطريقة وهي أول من أخذ عنه.

لقد أطلت في هذا الفصل بتفاصيل أرى أنه لا بد منها لمعرفة الوسط الذي نشأ منه وفيه صاحب الترجمة وتأثر به وورث منه ذلك الصلاح والفتح الروحاني الذي سيمتيز به طيلة حياته.

اختصار مراحل حياته رضي الله عنه:

من الإمكان اختصار السيرة الذاتية لصاحب الترجمة في ثلاثة مراحل كبيرة وهي:

1- المرحلة الأولى: من عام 1306 إلى 1322 وهي المرحلة الخاصة بحياته في جنوب المغرب وتجوّله في ربوعه.

2- المرحلة الثانية: من عام 1323 إلى عام 1341 وهي الخاصة بحياته في شمال المغرب من فاس إلى طنجة والقصر الكبير والنواحي.

3- المرحلة الثالثة: من عام 1341 إلى عام 1368 وهي مرحلة سكناه بالشاويّة ومدينة الدّار البيضاء.

ولا يمكنني في هذه العجالة أن أذكر جزئيات كلّ مرحلة ولكن أقصر على نقط منها:

- لَمَّا بلغ خمس سنين (1306) دفعه أبوه إلى الكتاب لتعلّم مبادئ الكتابة ولحفظ القرآن فلم يكن ملتزماً بالحضور في الكتاب.
- وفي السنّ الثامنة توفّي أبوه وأجبره إخوته على ترك التّعليم والاشتغال برعي الغنم، فبقي يراها ستّ سنين.
- لَمَّا بلغ الرّابعة عشر من عمره غادر قريته والتحق بقريّة (تاسيلا أوزريف) واستكمل هناك حفظ القرآن بعد صعوبة ومشقّة.

يقول رضي الله عنه: صعب عليّ حفظ القرآن فبكيت على الله يومين كاملين فأرسل إليّ أحد عشر ملكا على صورة غلمان فمسحوا على وجهي فمن ثمّ صار يظهر لي الحزب الذي أريد قراءته هو وإعراجه ووعدته ووعدته وسرّه ومعناه وناسخه ومنسوخه والله تمام الحمد.

وفي هذا السنّ (14 سنة) وقعت له واقعة عظيمة، تبشّر بما سيصل إليه مستقبلاً وما سيناله من خير عظيم ممّا يدلّ على ولايته وكبير خصوصيته. قال رضي الله عنه في رسالته إلى الأسيكي رضي الله عنه: فلتعلم سيادتكم أنّي عام أربعة عشر من عمري وقعت لي الفتوحات الكويّية لأحوال زهرية حتّى كثرت عليّ رؤيا الطلعة التّبويّة سرايا سرايا على عدد سراياه¹ من المدينة في حياته وأقبلت عليّ خوارق العادات من طيّ أرض كزيارة كعبة ومدينة منورة ونبع مياه وقتال مع أرواح وامتزاج معهم والاجتماع بالأموات وأكل طعامهم والسّكون بمخاطبتهم يقظة ومناما. وجردت نفسي من لوازم الدّنيا رأساً مرّتين ومن العلم أربعة عشر سنة بعد أن كرمت بمشاهدة رسوم قرآنيّة في محلّه (أي اللوح المحفوظ) ومشاهدة حقائق الأحكام الشّرعيّة بلا قراءة.

وحاصله أنّ جميع ما سطرّ في أحوال الأولياء أسلفته قبل إعطاء العهد بالطريقة الأصليّة (أي التجانية) ليترتب عليه عدم التّشوّف إلى ما هنالك بعدها اهـ.

ثمّ قصّ رضي الله عنه رؤياه التّبويّة المشهورة والمذكورة في أوّل الشّرب الصّافي والتي تدلّ على ما يصير إليه أمره من كونه على

¹ عدد سراياه صلى الله عليه وسلم سبع وأربعون سرية

قدم الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم وأنه سينال الإمامة في الدّعوة إلى الله وأنّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسلّم سقاه بيديه الشّريفتين من عين الشّريعة ومن عين الطّريقة ومن عين الحقيقة.

وفي هذه المرحلة كان الأولياء الأحياء والأموات يحضّونه على طلب العلم لأنّ النَّاس ينتظرون منه الكثير.

لما حفظ القرآن تنقل في عدّة مدارس علميّة عتيقة بسوس لطلب العلم وأخذه على الشيوخ الذين بها كما سيذكر من بعد.

وفي سنة 1321 هـ تمسك بالطريقة التجانية بأوريكة عن السيّد الحاج علي المسفيوي رحمه الله.

ولما حصل ما كتب له من العلم بسوس سافر إلى فاس والتحق بجامعة القرويين وكان نازلا بمدرسة الصفارين، فبقي يتلقّى العلم هناك طيلة تسعة أشهر.

ثمّ سافر إلى الشراكة لتكميل تربية المقدّم ابن السّلطان بأمر من سيّدنا رضي الله عنه ولتعليم أولاده.

ومن الشراكة سافر إلى مدينة القصر الكبير وسكن بها وأحيا بها العلم ونشر العلم والطريقة بالمدينة وبنواحيها حتّى شهدت المنطقة نهضة علميّة لم تشهدها من قبل ولا من بعد.

وُغادر القصر الكبير ليسكن بمدينة سلطان 8 أشهر يدرّس بزوايتها، ثمّ منها إلى قبيلة الخزازرة بالشاوية (قصة ابن أحمد) وهناك قام بنشاط كبير علما وطريقة.

وفي سنة 1345 هـ سافر إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج. وفي سنة 1348 هـ انتقل إلى مدينة الدار البيضاء حيث سيقطن بها ويحطّ بها الرّحال نهائيًا مع أنّه لم يتخلّ عن أسفاره وتفقّده للقرى والمدن التي كلّف بالسّفر إليها.

وفي سنة 1353 أنشأ مطبعته العربيّة التي طبع فيها كتبه وكتب غيره وساهم بها في نشر العلم والوعي ممّا لم يفعله غيره.

وبنى بالدار البيضاء زوايا منها زاويته الكبيرة هذه بدرج غلف وعمّرها بالعلم والذكر واستقبال الزوّار والخطبة يوم الجمعة. وبقي على نشاطه إلى أن مرض عام 1367 هـ مرضا كابده طيلة سنة واشتدّ عليه شهرين قبل وفاته.

وكانت وفاته ليلة الجمعة عاشر شوال عام 1368 هـ (1949 م) على الساعة الثانية عشر وثلث ليلا. وكان يوم جنازته يوما مشهودا حضره خلق لا يحصى من العلماء والمقدّمين والفقراء والمحبّين وغيرهم. وتولّى الصّلاة عليه خليفته وولده العلامة سيدي محمّد الحبيب رضي الله عنه ودفن بمقبرة طريق أولاد زيّان.

وتشاء القدرة الإلهية أن ينتقل بعد وفاته بخمسين سنة تقريبا،
فقد نقل من تلك المقبرة صبيحة يوم الخميس 25 محرّم 1417 هـ
(13- 6- 1996 م) ليُدفن بمقبرة الغفران وصلى عليه إماما الشّريف
سيّدي محمّد الكبير التجاني رضي الله عنه وعن سلفه الكرام.

هذه بإجمال كبير بعض مراحل حياة مترجمنا رضي الله عنه،
والآن أتعرّض على جانبين عظيمين من جوانب شخصيته الفذة وكلّها
عظيمة، فإنّه برز فيهما بروزا ملحوظا بهر جميع من عرفه أو قرأ عنه
وهما ميدان العلم وميدان الطّريقة فقد أعطى فيهما عطاء كبيرا.

في مجال العلم:

أخذ صاحب الترجمة عن أساتذة مرموقين في البلاد السّوسية
وغيرها كان كلّ واحد منهم من خيرة وأكبر علماء وقته تشدّد له الطّلبة
الرّحال من كلّ ناحية. أخذ عنهم ما كتبه الله له ونهل من معارفهم رغم
قصر المدّة التي قضاهها مع كلّ واحد منهم نسبيّا. ولنذكرهم كما وقفت
عليهم:

- افتتح عند الأستاذ السيّد أحمد المافمني
- ثمّ عن الأستاذ أبي القاسم التاجارموني بالمدرسة الالغية
- ثمّ الأستاذ المحفوظ الأدوزي بالمدرسة البوعبدلية
- ثمّ الأستاذ أحمد البوزوكي الكسيبي بمدرسة تانتوت (أدوتنان)
- ثمّ الأستاذ علي المسفيوي بأوريكا
- ثمّ الأستاذ الحاج مسعود الوفقاوي الذي صرّح أنّه انتفع به أكثر من غيره.

وأما علماء فاس الذين أخذ عنهم فلم يذكرهم أحد من مترجميه، ولا شكّ أنّه رضي الله عنه فاق هؤلاء السادة علما وعطاء وشهرة، ويكفي دليلا على ذلك ما خلفه من آثار علميّة مخطوطة ومطبوعة وهي كثيرة ومعروفة.

وتفوّقه رضي الله عنه أكبر لأنّه علاوة على تلك العلوم الرّسميّة، فقد أدرك علوماً لدية وهبيّة لا يدركها إلاّ أكبر العارفين. أدرك ذلك بفتح من الله وعناية منه سبحانه خارقين للعادة وليس عن مطالعة (كان لا يطالع الكتاب إلاّ إذا أراد أن يعرف درجة صاحبه) ولا بممارسة بل هذا من الخوارق الغريبة والعجيبة التي أكرمه الله بها. والسبب في ذلك نلخصه في التّقاط التالية:

أولاً: ما تقدّم لنا من أنّ سيّد الوجود صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سقاه بيديه الشّريفتين من عيون ثلاثة: الشريعة والطريقة والحقيقة.

ثانياً: ضمن له سيّدنا الشّيخ رضي الله عنه الفتح لمّا أمره وهو بمدينة القصر بتعليم العلم النّافع للطّلبة.

ثالثاً: لأجل ذلك أمر سيّدنا رضي الله عنه خليفته سيّدي الحاج علي حرازم فكتب الاسم الأعظم في لوح وأمر صاحب الترجمة أن يلحسه فانفتحت له أبواب العلوم والفهوم.

قال رضي الله عنه: "ورأيت نفسي كأنّ علماء العوالم كلّها اجتمعت عليّ وأنا أتكلّم بغرائب العلوم ستّة أيّام بلياليها من غير أن أقوم من مكاني، فكلّما قرأت طائفة قامت وجاءت طائفة أخرى وهكذا بلا توقّف وأنا لا أكل ولا أشرب وإنّما أتكلّم بالله، فكلّما كان الإنسان يتكلّم بالله استطاع أن يتكلّم عمر أنفاسه بلا انفصال ولا ملل اهـ.

ولنعط الكلمة له رضي الله عنه ليخبرنا بما أنعم الله عليه في هذا المجال فإنّه يقول رضي الله عنه: قال لي سيّدنا رضي الله عنه: لو بقي هذا عمر الدّنيا والآخرة يتكلّم في معرفة الله ما عيّا ولا عيّي ولا نفذ ما عنده من غير مطالعة.

وقال: لو أنّ جميع العلماء اتقرضوا واتقرضت جميع الكتب فأنا أحبيها وأمليها كلّها من باطني قرآنا وحديثا وغيرهما.

وقال: أفاض عليّ ربّ العزّة قوّة نورانيّة في معاني القرآن على الفرض والتّقدير لو أردت أن استخرج من كلّ حرف من حروفه مائة ألف علم وخمسة وعشرين ألف علم لفعلت.

وقال: إنّ الله أوقفني بين يديه حتّى عرضت عليه حديث البخاري بتمامه ورأيت ربّ العزّة بالمدينة المنورة فقرأت عليه القرآن حرفاً بحرف كما وقع لأبي حنيفة اهـ.

في مجال الطريقة:

- 1- تلقّى الإذن في الطّريقة أوّلاً عن المقدّم العلامة الأستاذ سيّدي الحاج علي المسفيوي سنة 1321،
- 2- ثمّ تلقّى الإذن فيها وتقديم التّلقين فقط عن القطب سيّدي الحاج الحسين الأفراني بعد مدّة قليلة، ثمّ أجازته إجازة مطلقة شفويّة وقال له: سر أنت خليفتي من بعدي.
- 3- وتلقّى الإجازة المطلقة القوليّة عن المقدّم سيّدي عبد الله القشّاش رحمه الله.

4- وتلقاها عن القطب سيدي محمود التجاني رضي الله عنه الذي كلفه بالإشراف على جميع الزوايا بالمغرب وعلى تصحيح الإجازات لمقدميها.

5- ثم تديج أي تبادل الإجازة مع العارف سيدي الحاج علي الأساكي رضي الله عنه كما في الإراءة،

6- وحصل له ما هو أعلى من ذلك فقد أجازته سيّدنا رضي الله عنه مباشرة، يقول: تلقّيت على سبيل الطّريقة الأويسيّة من حضرة بحر روحانيّة الشيخ رضي الله عنه الإجازة المطلقة وهي مضمّن قوله لنا رضي الله عنه في عالم الخيال: آذنتك في طريقي. فقبلت صدره الشّريف، ثمّ قال لي: آذنتك في طريقي بنية الاسم الأعظم في جميع الأذكار منها. ثمّ قال: أنت رئيس العلماء وسيدهم وإمامهم ا.هـ

لقد فرح سيدي الأحسن بهذه الطّريقة التي ملأت كلّ آفاقه وأشبعّت كلّ تطلّعاته كما أجبّ هذا الشيخ العظيم الذي عطف الله عليه عطفًا خارقًا ومنحه من المعارف والأسرار والأنوار ما لم يكن له بحساب فتعلّق به تعلّقًا متفانيًا حتّى صار متيمًا في حبه حتّى بلغ به الحال إلى أن قال:

إني أشهد الله وملائكته وكل مؤمن بأنّي بايعت هذا الشيخ رضي الله عنه مبايعة تامّة مطلقة شاملة عامّة مستغرقة أنفاس الدّنيا وأنفاس الآخرة على أن تكون ذاتي وصفاتي وحركاتي وسكناتي في محبّته وطاعته ومتابعة طريقته حذو نعل بنعل تصرّيا وتلوّيجا. فهو أبي وأمّي وأهلي وفرعي وسندي وعمدتي ومهجتي وظاهري وباطني، وإني ألقيت له القياد والعصى وحبست عليه عمري وعقلي وروحي وفكري فلا أفكر في غيره ولا أستمدّ قطرة من غيره فهو روعي وأهل سعادتني وإني أخذت عنه به لوجه ربّي، فالله يكرمني بقبوله وهمّته وإغاراته وعلمه آمين، فنطلب من الله أن يدخل كلّ من انتسب لي في مسلكه من الأزواج والأولاد والأحباب فالله يقبلنا في حضرته، ثمّ أنه علم أنّ المعبود هو الله فالشيخ يدلّ عليه فاسترحنا ممّا أتعبنا قبل الدّخول في سلكه ظاهرا وإلا فنحن تلامذته في الأزل ا.هـ.

هذه هي المحبّة وهذا هو التّفاني الحقيقيّ والتّعلّق الصّادق. ولهذا أدرك رضي الله عنه في حضرة سيّدنا رضي الله عنه ومنه وعنه مقامات عالية في طريقته، وأكرم بكرامات عظيمة ومناقب جسيمة ستكون موضوع كلمة أخرى بحول الله.

ولنجعل ذلك الكلام المتقدّم فصل الختام لهذه التّبذة التي أرجو من الله قبولها وأن تكون قد نالت رضاكم وصفحكم وغصّكم الطّرف

عن عيوبها ونقصها رغم طولها الذي أرجو أن لا يكون أمّلكم وكيف
يملّ الإنسان الكلام عن هذا الإمام الذي نحمد الله أنّنا ننتسب إلى
الشيخ والتّبيّ من طريقه، لله سبحانه كلّ الشّكر.

في الختام أسأل الله العظيم بجاه نبيّه الكريم سيّدنا محمّد صلّى
الله عليه وسلّم أن يتقبّل منّي هذا الجهد وأن يجعله خالصاً لوجهه
الكريم.

كما أسأله أن يفيض بحور رضوانه على حضرة سيّدنا الحاجّ الأحسن
البعقلي وأن يثبته الثّواب الجزيل ويجزيه الجزاء الجميل على ما قدّمه
من خدمات للأمة وللطريقة وأن يسكنه في أعلى عليّين في جوار جدّه
صلّى الله عليه وسلّم وجوار شيخنا سيّدنا ومولانا أحمد التجاني وأن
يسكننا معهم وبجوارهم بمحض فضله وكرمه.

وأسأله تعالى أن يديم فضله وسرّه وبركته ومعرفته ومحبّته في
أولاده وأهله وعقبه إلى يوم الدّين وأن يديم النّفع بهم ويجري الخيرات
على أيديهم إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

اللهم صلّ على سيّدنا محمّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق
ناصر الحقّ بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حقّ قدره
ومقداره العظيم.

اختصار ترجمة العارف بالله
سيدي الحاج الأحسن البعقلي
رضي الله عنه

الجزء الثاني

ألقيت جلّ هذه الكلمة بالزاوية التجانية بدرب غلف (الدار البيضاء)
ليلة الأربعاء 10 شوال عام 1427 هـ
الموافق لـ 28 نوفمبر 2006م

عبد ربّه محمد الامزالي
لطف الله به وغفر له

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين.
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، والرحمة المهداة للعالمين،
وعلى آله وصحبه الهداة المهتدين.

ورضي الله عن شيخنا سيّد الأقطاب وإمام العارفين، القطب
المكتوم، الختم المحمّديّ المعلوم، سيّدنا وسندنا مولانا أحمد بن
مولانا محمد التجاني الحسني وعن ذريّته وأهل طريقته إلى يوم الدين.

أمّا بعد فهذه الكلمة التي فتح الله بها بفضله وكرمه هي امتداد
لكلمة التي كنت ألقيتها على مسامعكم في السنّة الماضية في نفس
الذكرى التي نحيبها لشيخ شيوخنا الخليفة سيدي الحاج الأحسن
البعقلي رضي الله عنه. وأذكر السادة السّامعين أنّي، في السنّة
الماضية، تناولت باختصار مراحل حياة هذا السيّد رضي الله عنه،
وألمت بعدها بجانبين مهمّين ومميّزين من جوانب شخصيته المتعدّدة
وهما:

- تفوّقه في الجانب العلمي،
- وتفوّقه في مجال الطّريقة التجانية.

وقد تفوّق فيهما تفوّقا مرموقا وعجيبا بل وغريبا. ووعدت آنذاك أن أوصل الكلام على جوانب أخرى من شخصيته الفدّة وأن أبرز مميّزاتها الأخرى.

وهذا ما سأقوم ببعضه في هذه الليلة بحول الله وقوّته، وسابق توفيقه وهدايته، مستمداً من سيّدنا الشّيخ رضي الله عنه ومن خليفته صاحب الذّكرى نفعنا الله بهما وبعلمهما فأقول:

وقف بنا الكلام في السّنة الماضية عند الكلام على مكانة هذا السيّد في الطريقة وعند ما كان قد أكرمه الله به من حبّه لها ولصاحبها رضي الله عنه، وإفراده لهذا الشّيخ الجليل رضي الله عنه بالمحبّة والتعلّق والاتباع والانحياش والتّفاني بشكل غريب توحدّ به. ومن عناصر هذه المكانة الفريدة اجتهاده في خدمة الطّريقة وتفانيه في نشرها. ويظهر ذلك بما يلي:

● **أولاً:** بالإشادة بصاحب الطّريقة سيّدنا الختم حجّة الله رضي الله عنه ونشر محاسنه ومناقبه وخصائصه ونشر محاسن وخصائص طريقتّه ونشر محاسن أهل طريقتّه وفقرائه وما أكرّمهم الله به من فضله الواسع العميم وذلك في كلّ المحافل

والتأليف والرّسائل حيث ما حلّ وارتحل بشكل مستمرّ
ومستفيض ممّا لم يسبقه إلى كثير منه غيره من علماء الطريقة.

● ثانيا: بذله الوسع والجهد في إرشاد أهل الطريقة بالقلم واللّسان،
وذلك بالاتّصال المباشر بهم حضرا وسفرا. فكان لا يتوانى ولا
يأخذه العجز أن يتكبّد المشاق ويواجه الصّعب في سبيل
ذلك. فلا يكاد يستريح من سفرة حتّى يقوم بأخرى، فلم يكن
يكلّ ولا يملّ من كثرة الأسفار والتنقّل في سبيل نشر تعاليم
الطّريقة، وتصحيح مفاهيمها، وبيان أحكامها وآدابها، سواء في
البوادي والحوضر، وبكلّ الوسائل المتاحة.

كما كان يكتاب المقدّمين والفقراء بكلّ المناطق يرشدهم
وينصحهم ويحرّضهم على الإتياع وينهاهم عن الابتداع، ويبين
لهم ما فيه رشادهم وصلاتهم، ويجيبهم عن تساؤلاتهم فيما
يخصّ فقه الطريقة وغوامضها، وينير لهم سبل الترقية،
والتّصفية والتّزكية فيها، حتّى يصلوا إلى أوج المعرفة العيانيّة
الصّحيحة فيها. ويدلّهم على حبّ الله، وحبّ رسوله صلّى الله
عليه وسلّم، وحبّ أمّته، وحبّ الشّيخ رضي الله عنه وأصحابه
وفقائه لوجه الله لا لغرض. فخلّف لنا وللأجيال المقبلة بعدنا
رصيда هائلا من الرّسائل التّوجيهيّة النّافعة، وكما وافرا من

التّصائح، ممّا يحتاج إلى من يعتني بجمعه لينتفع الإخوان كافّة به.

● **ثالثا:** ومن مساهماته في نشر الطريقة ما خلفه من مؤلّفات في علوم الطّريقة ومعارفها، وبيان دقائق أذواقها، وأسرار أحكامها، كالإراءة، والشّرب الصّافي وغيرهما. وكتبه معروفة وجلّها مطبوع.

● **رابعا:** ومن نشره للطريقة كثرة الذين تخرّجوا فيها على يده والذين يعدّون بالآلاف سواء من تلقّوا عنه التّلقين أو الإجازة بالتّقييد أو بالإطلاق. وذكر هو بنفسه أنّ عدد المجازين من طرفه يفوق 1200 فردا.

كما تخرّج على يده العديد من أكابر العلماء والعارفين الذين انتشروا في كلّ أنحاء المغرب وخارجه، جلّهم بلغوا درجة التّربية الخاصّة في الطريقة، ممّن يصعب حصرهم. وهؤلاء السّادة يستحقّون أن يُخصّوا بدراسات مستفيضة، علميّة، محقّقة، ومدقّقة، لتّعريف بهم وبأعمالهم الجليلة في نشر الدّين والعلم والطّريقة.

● خامسا: ومن مظاهر نشره للطريقة إنشاؤه لما يناهز 150 زاوية من شمال إلى جنوب المملكة، وإشرافه عليها، واعتناؤه بها، إصلاحا وترميما، مع تفقدها من آونة إلى أخرى، وتيسير مصاريفها ونفقاتها.

ولقد نشط رضي الله عنه في هذه الميادين المذكورة نشاطا متواصلا، لا يعرف الكلل ولا الملل، مؤيدا بالعبادة الإلهية، والمعونة الربّانية، مدفوعا بهمة العالية، ومحبتته المتفانية.

كرامتان لصاحب الترجمة:

لا يمكن أن نتكلم عن صاحب الترجمة ومكانته في مجال الطريقة التجانية وفي المعرفة الإلهية وبساط الولاية الخاصة دون التّعريض إلى ما أكرمه الله به في هذا النطاق في الكرامات والمناقب، وإذا كانت الكرامة هي الأمر الخارق للعادة فأمر سيدي الحاج الأحسن وشؤونه وتصرفاته كلّها خارقة للعادة. فكلّه كرامة. وكلّ كراماته لا حصر لها. وقد تقدّم لنا أثناء استعراض حوادث حياته الشّيء الكثير منها. وأكفي في هذه العجالة بذكر كرامتين منها تنشيطا لأحبابه ومحبيه.

الاستقامة هي كمال متابعة النبي صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً، حركة وسكوناً حتى في أدنى الأمور. وهذا أوجها وأعلاها، وهي بهذه الصفة أصعب المقامات عند الصوفية، ولا يطبقها إلا أكابر الورثة المحمديين ولا يعرفها ويلتزم بها إلا الأوفياء من الخاصة العليا. يقول الله تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية أشد ولا أشق من هذه الآية. ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول: ((شيبتي هود وأخواتها)) [أبو نعيم في الحلية]. وورد أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية شمّر، فما ربّي ضاحكاً.

ولقد كثرت عبارات القوم في تعريف الاستقامة ووصفها وذكر ثمراتها ومزاياها وخصائصها. ونكتفي بهذا التعريف الجامع لتلك التعريفات كما في البغية إذ يقول مولانا السيد رضي الله عنه: "وحاصلها أن تُحفظ على العبد آداب الشريعة، وأن يوفق لفعل مكارم الأخلاق، واجتناب سفاسفها، والمحافظة على أداء الواجبات مطلقاً في أوقاتها، والمصارعة إلى الخيرات، وإزالة الغلّ للناس من صدره والحسد، وطهارة القلب من كلّ صفة مذمومة وتحليلته بالمراقبة مع

الأنفاس، ومراعاة حقوق الله تعالى في حق نفسه وفي الأشياء، ومراعاة أنفاسها في دخولها وخروجها فيتلقاها بالأدب، ويخرجها وعليه خِلعة الثور" ١هـ.

وهذه النعوت والأوصاف تنطبق على صاحب الترجمة أتم انطباق وأكمله. فمن تأمل سيرته، وقرأ كتبه، وعلم معاملته مع الله ومع خلقه، رآها متجسدة فيه، وعابن ما أكرمه الله به من كمال اتباع رسول الله عليه وسلّم قولا وفعلا وعملا وحالا ظاهرا وباطنا. وسيأتي لنا بحول الله عند الكلام على أخلاقه وأوصافه من ذلك ما يكون كالتشخيص بل تشخيصا لهذه الأوصاف المذكورة في كلام البغية.

والاستقامة بهذا المعنى هي التي يعتبرها أهل الله الكرامة الحقيقية، ويسمونها أمّ الكرامات، وأفضل الكرامات، وأعلى الكرامات. الكرامة الثانية، هي البركة في العمر وفي كلّ الحركات:

وهذه كانت ظاهرة للعيان وهي من كراماته الباهرة التي ميّزه الله بها بين الأقران. ويكفي دلالة على ذلك ما قام به من أعمال ممّا يستغرق سنوات عمره أضعافا كثيرة.

ويكفي أن أعطي مثلا على ذلك ما ألفه من تأليف وكتبه من كتابات علما وطريقة في سائر الموضوعات المعرفية، وما أنشأه من رسائل وأجوبة وإجازات، ممّا لو جُمع ووُزّع على أيّام حياته لوسعها

وزاد عليها. ومن شكّ فليجرب ولو بنقلها فقط هل سيجد متسعا لذلك؟

ويزيد وضوحا لعظمة هذه الكرامة ما كان مشتغلا به من شؤونه الخاصة وشؤون عائلته الكبيرة وشؤون الزوايا التي كلف بها، وتسيير أمواله وممتلكاته، واستقباله للضيوف والزوّار الوافدين عليه من كلّ حدب وصوب في كلّ الأوقات وطيلة السنة وفي كلّ المناسبات، مع ما كان يقوم به من أسفار وتنقّلات عبر الوطن وبكلّ الوسائل المتاحة. هذا علاوة على عبادته وتكاليفها وتوجّهاته وأذكاره ودروسه الخاصة والعامّة.

فالرجل كان كالساعة لا يتوقّف إلا للنوم وأخذ قسط من الراحة ونومه كان لا يستغرق أكثر من ثلاث ساعات على الأكثر. وهل كان ينام كالنّاس بل كان كاليقظة.

فمن تأمّل كلّ هذا رأى فيه ظاهرة خارقة وغير معتادة امتاز بها مترجمنا رضي الله عنه، وقضى العجب من نشاطه وحيويّته. فكلّ أوقاته مشغولة، وكلّها في طاعة الله وعبادته، لا يخرج عن الحضرة الإلهيّة، عاكفا عليها بقلبه، وكلّ جوارحه، مع المحافظة على آدابها. فلا يشغله وقت عن وقت. ولا وظيف عن وظيف.

ويدلّ كلّ هذا على إعانة الله له، وعنايته به، وتوفيقه له. كما يدلّ على وراثته النبويّة الخاصّة التي هي التّيجة الحتميّة للكرامة التي بدأنا بها وهي الاستقامة على التّهج التّبويّ والسّير المصطفويّ دائماً وأبداً.

وهناك كرامات أخرى لصاحب التّرجمة شائعة وذائعة ككشفه، وإخباره بمغيّبات، وتصرفه في الثّقلين، وتسخيرها له، وطّيّ المسافات، وطّيّ الذّكر عدداً ووقتا، وفيضان الخيرات والبركات الإلهيّة، ومحبة الخلق له، إلى غير ذلك ممّا يطول ذكره ولا يتسع له الوقت، ولعلّ الله سبحانه يهيئ لذلك وقتاً لاحقاً ومجالاً واسعاً نفصل فيه كرامات مميّزة وموثّقة لصاحب التّرجمة تفصيلاً جميلاً ممّا ثبت ثبوتاً قطعياً عنه وعن أكبر أصحابه رضي الله عن الجميع.

مناقبه رضي الله عنه:

وأما مناقبه فهي كثيرة أيضاً نذكر منها أعظمها وهي المقامات الولويّة العالية التي أخبر عن نفسه إدراكها تحدّثاً بنعمة الله تعالى. وقد كنت أشرت إليها في كلمة السنّة الماضية.

1- من ذلك إدراكه مقام الفردانية: وذلك سنة 1335 هـ تسلّمها من المقدّم الكبير العارف سيدي محمد ابن سلطان الشرقي قبل وفاته².

والفردانية هي أعلى مقامات الولاية الخاصة ليس فوقها إلا مقام القطبانية ورجالها يسمّون بالأفراد خارجون عن حكم القطب وإن كانوا يستمدّون منه. وهم 114 على عدد سور القرآن، كلّ فرد منهم له سورة يستمدّ منها ويديمون قراءتها، ويسمّون أيضا بمفاتيح الكنوز. ولهم خصائص يمتازون بها. ويتميّزون بها عن القطب كما له خصائص يتميز بها عنهم.

ونقل المقدّم الفطواكي عن سيدي الحاج الأحسن أنّ المقدّم ابن سلطان لما أراد أن يسلمه الفردانية وقع له حال ووجد ثم ارتقى على عنق البعيلي وهو يبكي ويقول له: "سيدي حسن قد انتهت مهمّتي فهك الأمانة بكاملها، وأولادي في حرك " اهـ

² المقدّم الكبير سيدي محمد ابن سلطان من قبيلة شراكة بناحية فاس أخذ الطريقة شابًا وتربّي على يد الفقير أكنسوس وبعده أخذ عن سيدي العربي بن السائح وأجازه سيدي أحمد محمود رضي الله عن الجميع وكانت وفاته عام 1336 ودفن بزاويته بشراكة.

2- توّصله بالخلافة: قال رضي الله عنه: "أعطني الله عكّاز الخلافة في محضر جميع العوالم ولم يتكلّم أحد إلاّ رجل واحد أخذ يتلو القرآن الكريم فأسكته فأبى ورميته بحجر فسكت".
وقال أيضا: "اجتمعت عليّ أرواح العالم بأسرها فأذنت لها في الطريقة الثانية".

وأخبر أيضا أنّ الأولياء قاطبة اجتمعوا عليه وطلبوا منه أن يلقّنهم طريقته الخاصّة، فقال لهم: "ليس لي طريقة خاصّة إلاّ طريقة سيّدي أحمد التجاني". فطلبوا منه تلقينها لهم فامتنع حتّى قبلوا الشروط فلقّنهم... إلخ القصة.
وقال أيضا: توّصلت بصندوق التصريف قبل القطبانيّة سنة 1336 هـ.

3- توّصله وحلوله بمفتاح القطبانيّة بمدينة القصر الكبير سنة 1340 هـ، وهذه تسمّى القطبانيّة الإقليمية. ومنذ ذلك الحين لزمته الحتمى التّاتجة عن قوّة المقام وشدّة وقع التّجليات.

4- أمّا القطبانيّة العظمى أو الغوثانيّة أو الغوثيّة فقد حلّ بها سنة 1346 هـ وهو في قصبة الخزازرة بقبيلة الشاويّة. فطراً عليه

جلال لا يقاس، واستوحش النَّاس فاعتزلهم خمسة عشر يوماً لم يكلم فيها أحدا منهم.

قال رضي الله عنه: "أخذت سلسلة القطبانية عن شيخي اليفراني عن الإمام الكنسوسي عن سيدي محمد الغالي الفاسي عن القطب المكتوم رضي الله عنه". "وأخذت القطبانية العظمى عن شيخي الأفراني عن شيخه السائحي عن شيخه التماسيني عن شيخنا القطب المكتوم عن التَّبِّي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جبرائيل عن ميكائيل عن عزرائيل عن إسرافيل عن ربِّ العزة " ا.هـ.

والكلام على هذا المقام طويل الذَّيل كما أنَّ بيان أوصاف القطب وخصائصه وكلِّ ما يتعلَّق به ممَّا لا يسع المقام ذكره. ومن أراد التَّفصيل فعليه بالجواهر والبغية ففيهما ما يكفي ويشفي.

وممَّا أخبر به رضي الله عنه أنَّ الله جمع له بين الفردانية والقطبانية. وهذه وراثه ورثها عن سيِّدنا رضي الله عنه لأنَّ سيِّدنا الشَّيخ هو الوليِّ الوحيد الذي جمع الله له بين القطبانية العظمى والفردانية. فإنَّه طلب ذلك من جدِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأقرَّه وقبل طلبه وضمن له اجتماع هذين المقامين العظيمين الذين ما فوقهما إلَّا مقام التَّبوَّة.

ولقد كان صاحب الترجمة يفصح عن حلوله مقام القطبانية العظمى بذكره لما منحه الله من مظاهرها ومميزاتها. وهذه بعض أقواله في ذلك:

● لا يأكل أحد ولا يشرب ولا يتحرك ولا ينطق في السماوات ولا في الأرض إلا بإذني ما دق وما جلّ منهم، ولا يتنفس أحد إلا بإذني.

● الدنيا عندي كنقطة الباء في وسط كفي.

● وسئل عن الخليفة الأكبر الذي يولي ويعزل وغوث الزمان فقال: ليس من الشأن البيان. فألح عليه السائل فقال: أنا هو ولله الحمد. فكلّ من أخذ عني فكأنما أخذ عن النبي صلى الله عليه وسلّم ولا فخر. وقال: قال سيدي إبراهيم المتبولي: أدركت من وراء العرش ستمائة عالم. وأقول على سبيل الكشف والدّوق: أدركت من وراء المتبولي مائتي ألف عالم، العرش وما في جوفه عالم واحد.

● وقال: كلّ من صلى ورائي حرّم جسده على النار.

● وكان من دعائه قبل الفجر: اللهم شفّعي في أجزاء أرضك وفي أجزاء ملكك.

● وكان من عادته أن يجدد الطريقة لكل من قبل شروطها في كل ليلة وقت السحر، كما كان يجدد الإيمان في ذلك الوقت لكل أفراد الأمة. ومما صرح به قوله: حلف لي صلى الله عليه وسلم: لا يوجد مثلك على وجه الأرض في هذا الزمان. والأقوال في هذا الشأن كثيرة.

ومن نتائج حلوله رضي الله عنه في هذا المقام العالي الرفيع ما أكرمه الله به من:

- رؤية مولانا صلى الله عليه وسلم يقظة بل ورؤية رب العزة -
- حلوله بمقام التربية الخاصة العظمى عن سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله عنه.

وسياتي الكلام على هذه المناقب خاصة في حلقة أخرى لأن الكلام فيها يستدعي تفصيلا عريضا يسر الله ذلك بفضله.

كرامات هذا السيد

وأود أن أختم موضوع مناقب وكرامات هذا السيد بمنقبة جليلة وفريدة وخاصة وذلك بما كان يكلفه به سيدنا الشيخ رضي الله عنه من مهام ومهام مما يمكن أن نسميه بسببها برجل المهمات الصعبة. وجل الحكايات التي سأذكرها تلقيتها عن العارف الكبير المربي سيدي

الحاج محمد أكارم مقدّم القطر التونسي وتلميذ المترجم رضي الله عنه
ومن ترجمة العلامة الفطواكي له:

1- منها تكليف سيّدنا له بتربية أو تكميل تربية أفراد من أصحابه.
قال رضي الله عنه: في الليلة الرابعة عشر من دخولي الطريقة
أتاني الشيخ سيّدي أحمد التجاني رضي الله عنه فدفع لي ثمانية
من الأصحاب فقال لي: خذ هذه الجماعة فربيهم وأحسن تربيتهم
ولا تتركهم يصلون إليّ، منهم ابن سلطان، هـ.

كان هذا سنة 1321 هـ، سنة أخذه للطريقة عن سيّدي الحاج
علي المسفيوي رحمه الله كما تقدّم لنا. وبعد سنوات ذهب إلى
قبيلة شراكة بضواحي مدينة فاس والتحق بالمقدم سيّدي محمد
ابن سلطان لهذه الغاية ووجدته قد أدرك الفردانية وبقي مشارطا
عنده يعلم أولاده وغيرهم القرآن والعلم دون أن يفصح عن سبب
مجيئه.

ولم يكن المقدّم يعرفه بل ظنّه فقيرا عاديا فلما توطّدت الصداقة
بينهما قال المقدّم للفقير إن اتّبعتني فسألاقيك مع رسول الله صلّى
الله عليه وسلّم يقظة فقال له الفقيه: لاقي نفسك أنت أمّا أنا فلا
أحتاج لك لتلاقيني به صلّى الله عليه وسلّم.

فلما رأى عجائب معرفته أذعن له ورضخ لتربيته امثالاً لأمر سيّدنا رضي الله عنه. فأكمل رضي الله عنه تربية المقدّم كما أمره سيّدنا رضي الله عنه ومنحه ما يستحقّه من أسرار الطريقة بل أسرار التربية فيها، وبقي معه إلى أن توفّاه الله فحضر جنازته، ولعلّه صلّى عليه، وأحسن إلى أولاده تلبية لرغبته.

2- لما كان الفقيه بمدينة القصر الكبير أمره سيّدنا رضي الله عنه أن يسافر إلى طنجة لحلّ مشكل وقع بين فقهاء الزاوية وافتتنوا به. فلما وصلها وبحث عن المشكل وسببه وجد أنّ في الزاوية ما يقرب من عشرة مقدّمين كلّهم علماء وكلّ واحد يريد أن يتصدّر للإعطاء والتلقين بها، وكانت الزاوية بطنجة تزخر بالعلماء والقديمين والخاصّة. فطلب منهم أن يعطوه إجازاتهم فلما قرأها وجدها كلّها إجازات صحيحة متّصلة، ثمّ نظر إلى وجوههم فرأى واحداً منهم على وجهه - كما قال - نور التّبوّة وعلامة الاختصاص فقال لهم: "كلّكم بارك الله فيكم مقدّمون أجلاء وكلّكم صالح للتصديّ للتلقين ولكنّ الذي أراه أن يتكلّف واحد منكم بهذه المهمّة حتّى لا تكون الفوضى والفتنة بالزاوية وها أنا

أُكِّفَ بهذه المهمة هذا السَّيِّدَ الشَّرِيفَ سَيِّدِي عَبْدِ السَّلَامِ
الْجَائِي فَهُوَ الَّذِي اخْتَارَتْهُ يَدُ الْعِنَايَةِ".

فَقَبِلُوا جَمِيعًا رَغْمَ أَنَّ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ عِلْمًا مِنَ السَّيِّدِ الْجَائِي
وَفَرَحُوا بِهَذَا الْحَلِّ. وَبِالْفِعْلِ كَانَ هَذَا السَّيِّدُ مِنَ أَكْبَرِ الْعَارِفِينَ
وَمَنْ أَخَصَّ خَاصَّةً هَذِهِ الطَّرِيقَةَ وَمِنَ الْمُرَبِّينَ الْكِبَارِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ آمِينَ، وَبَلَّغَنِي مِنْ أَخْبَارِهِ وَفَتْحِهِ وَإِحَاطَتِهِ بِأَسْرَارِ الطَّرِيقَةِ
الشَّيْءَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْ مَنَاقِبِهِ أَنَّهُ يَذْكُرُ صَلَاةَ الْفَاتِحِ بَعْدَ كُلِّ
صَلَاةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ مَرَّةً وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ وَقُدْرَةِ اللَّهِ
صَالِحَةً لِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ
يَشَاءُ.

3- وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْفَقِيهَ كَانَ فِي زِيَارَةِ ضَرِيحِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فَرَأَاهُ وَقَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى ثَكْنَةِ الْجَيْشِ بِفَاسٍ وَيُخْرِجَ فَقِيرًا
سَمَّاهُ لَهُ مِنَ السَّجْنِ. فَذَهَبَ إِلَى الثَّكْنَةِ وَدَخَلَ عِنْدَ ضَابِطِهَا
الْفَرَنْسِيِّ الْحَاكِمِ بِسَهُولَةٍ وَقَالَ لَهُ: "أَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَطْلُقَ سِرَاحَ فَقِيرٍ
مِنْ فُقَرَاءِ سَيِّدِنَا أَحْمَدَ التَّجَانِيِّ مَحْبُوسٍ عِنْدَكَ هُنَا فِي السَّجْنِ
وَهُوَ فَلَانٌ". فَأَمَرَ الضَّابِطُ بِإِطْلَاقِ سِرَاحِ السَّجِينِ فَوْرًا وَلَمْ
يَعْتَرِضْ وَلَمْ يَسْأَلْ عَنِ أَيِّ شَيْءٍ.

4- ومن ذلك أنه مرّة رضي الله عنه أمر ببعثته فسُرّجت فركبها ليأخذ الحافلة بالطريق الرئيسيّة وكانت بعيدة وهذا بالشاوية، وصحب معه سيّدي محمد أكمار ليرجع بالدّابة. وفي الطريق أخبره أنّ الشّيخ رضي الله عنه أمره بالذهاب إلى فاس وقال له: أدرك التّظفي فقد اجتمعوا على قتله وأفتوا بذلك، قال وذلك لِمَا قاله في الطّيب الفائح عن صلاة الفائح أنّها من كلام الله القديم. ولَمّا وصل إلى الزّاوية بفاس جمع علماء الطريقة ومنهم من وقّع على الفتوى وبيّن لهم الصّواب في كلام العارف التّظفي حتّى أقنعهم فتراجعوا وزرع في قلوبهم روح اليقين ورفع معنويّاتهم المنهارة وأحيا حماسهم أمام تعصّب علماء القرويّين وما أثارته من فتنة بفاس.

وما لبث الجميع أن جاء جواب المولى يوسف يأمر علماء المجلس برفض قرارهم وإلغائه والتّوقّف عن متابعتهم للفقيه التّظفي والامتناع عن مسّه بأيّ أذى. ولقد كانت للباشا الحاج التّهامي رحمه الله يد بيضاء في ذلك القرار فإنّه حدّر السّلطان من فتنة الثّورة التي سيثيرها هذا الحكم لأنّ الفقيه رضي الله عنه له أنصار وأتباع في كلّ ما هو بعد الدّار البيضاء من جنوب المملكة من الحوز إلى سوس.

وفي هذه الأزمة التي فتن بها أهل الطريقة أَلْف صاحب الترجمة تأليفه القيم التّيس: النّفحة الرّبّانيّة، ورسالة أخرى ينتصر فيها لأخيه في معرفة الله وفي الطريقة سيّدي الحاج محمد النّظيفي جدّد الله عليه سحائب الرّحمت. كما قام علماء الطريقة وأدباؤها قومة واحدة ونافحوا عنه نثرا وشعرا في انتفاضة واحدة أظهرت غيرتهم على الطريقة وصاحبها رضي الله عنه.

5- ومن المهمّات الخاصّة التي كلف بها صاحب الترجمة إغاثته للمقدّم الكبير سيّدي الحاج الطّيب السّفياني. فإنّه في زيارة له إلى ضريح سيّدنا رضي الله عنه استضافه صديقه وأخوه في السّند والإجازة سيّدي الطّيب ليتناول معه العشاء بداره ويبيت عنده كما هي عادته معه كلّما زار الزّاوية الكبرى بفاس.

ولاحظ الفقيه من حالة المقدّم ما يدلّ على انشغاله بمشكل مهمّ فسأله فأخبره أنّه في همّ وكرّب يتعلّق بأهل بيته لا يجد له حلّا ولا يستطيع أن يفصح عنه لأحد إلّا له هو. وبعد أن أخبره به سأله الفقيه: أخبرني يا سيّدي ماذا تذكر في هذه الأيّام؟ قال: اسم أعطاه لي بعض الخاصّة من إفريقيّا. قال له: وما هو؟

فأخبره، فقال له: هذا هو سبب عطبك، أتدري لماذا؟ لأنك أسأت الأدب مع سيّدنا الشّيخ رضي الله عنه. فإنّه رضي الله عنه أقامك في هذا المنصب العظيم عند قبره الشريف وفي الزاوية الأمّ. فكلّ أصحاب سيّدنا وغيرهم من العارفين يقصدون هذا المقام لكلّ ما يلمّ بهم ولكلّ ما يرجون بلوغه من المطالب والمقامات العالية وحلّ المشاكل العويصة المستعصية فيجدون الدّواء التّافع وقضاء أوطارهم لأنّ هذا المقام هو منبع الفيوضات والرّحمات للعالمين. وهذا هو المنهل الصّافي الذي يرتوي منه الجميع. فأنت جعلك سيّدنا هنا نائباً عنه ليأخذ عنك كلّ من أتى إلى هذا المقام لا لتأخذ أنت عن أحد. فقد أغناك رضي الله عنه بأن جعلك عند قبره وفي مقرّه فلا يليق بك أن تلتفت عنه لغيره.

"ولقد تسبّبت في الهلاك لذلك السيّد الذي أعطاك ذلك السرّ لأنّه إذا وصل إلى بلده فسيفتخر بأنّه لقن سرّاً عالياً لمقدّم الحضرة بفاس وربّما يصدر منه إعجاب بنفسه يكون سبب هلاكه".

"والآن هذا السرّ الذي لقّنه لك أنا أعرفه وها أنا أرفع عنك إذن ذلك السيّد فيه وأعفّيك من ذكره فقم إلى أهلك وأرح نفسك فقد أنقذك سيّدنا رضي الله عنه".

فما أصبح الصّباح حتّى فرّج الله عن المقدّم سيّد الطيّب فأخبر سيّد الحاج الأحسن فرحا مسرورا بحلّ مشكلته وذهاب همّه وكرهه، فقال له هذا الأخير وهو يعلم تعلق قلبه بذلك السرّ: "وها أنا الآن آذن لك في ذلك السرّ بسند شيخنا معا الخليفة سيّد الحاج الحسين الأفرازي رضي الله عنه فاذكره، فلن ترى منه أيّ عطب بحول الله وبركة سيّدنا رضي الله عنه".

هذه فحوى هذه القصّة وهي تتمّ عن تربية عظيمة عميقة رفيعة الذّوق. وفيها تعليم راق ودرس وجيه في آداب الطريقة الذّوقية والدّقيقة الخاصّة بخاصّة أكابر المرّيين.

ولا بدّ في هذا المجال من التّنبية إلى ظاهرة منتشرة بين كثير من الإخوان وإلى لفت النّظر إلى ما فيها من الخطر لأنّها مزلقة ذات عواقب وخيمة.

ذلك أنه منذ القديم ولع الكثير من الإخوان بالبحث عن الأسماء والأذكار الغريبة خصوصا الواردة من إفريقيا، ولعوا بها وأعطوا فيها الأموال وبدلوا فيها التّيفيس في الحصول عليها غير آبهين بمصادرها وغير متيقّنين من صحتّها أو بطلانها. فيشتغلون بتلك الأذكار ويولونها عناية لا يعطونها لأذكارهم اللازمة بل يؤدّي بهم الحال إلى إهمال اللّوازم التي عاهدوا الله عليها.

ولقد نسوا ما عاهدوا الله عليه لَمَّا تمسّكوا بالطريقة، فأعمتهم الأطماع والشّهوات التّفسائيّة والحرص على الوصول إلى سرّابهم الذي أعمى أبصارهم وبصائرهم. وتناسوا جاهلين أو متجاهلين روح الطريقة التجانية الصّافية التّوراتيّة الذي هو منحصر فيما يلي:

- إقامة الأوامر الشرعيّة والمحافظة عليها قولاً وعملاً وفعلاً وتركاً
 - خصوصا الصّلوات الخمس المفروضة واستكمال شروطها وآدابها،
 - إقامة الورد الأصليّ وتابعيه الوظيفة والهيللة بآدابها وشروطها
- وضوابطها³

³ فمن لم يلتزم بهذين الشّرتين ويحافظ على هاتين الدّعامين فلا يطمع في فتح ولن يصل إليه أيّ سرّ من سرّ الطّريقة، إذ هما الأساس: أساس الفتح وأساس سعادة الدّارين.

- عمارة ما يقدر على عمارته من الأوقات زيادة على الأوراد اللازمة بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح لما أغلق بطريق المحبة والشوق والشكر والاعتماد على الفضل الإلهي المحض،
- مع صدق التوجه إلى الله في كل ذلك وتعلق القلب به سبحانه بالإخلاص الكامل.

هذا هو روح الطريقة، وهو سر السلوك فيها، والسبب الأساسي في الفتح فيها، والوصول إلى المعرفة الإلهية.
وتجاهلوا أيضا ما صار عليه عمل سيدنا رضي الله عنه في آخر عمره من تخليه عن جميع الأسماء، وتركه التوجه بها، والاشتغال بالتوجه بصلاة الفاتح لما أغلق امثالاً لأمر جدّه ومربيّه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان رضي الله يصرح بذلك دائما وأبدا ليقندي به أصحابه ويهتدوا به. ومراده بذلك أن يريحهم من تعب العناء بالاشتغال بما لا يجديهم إلا التعب ويبعدهم عما في صالحهم وسعادتهم.
فكان رضي الله عنه يقول مقالته الشهيرة التي هي شعار طريقته إلى الأبد: نهاني صلى الله عليه وسلم عن التوجه بالأسماء وأمرني بالتوجه بصلاة الفاتح.

ونقل الخليفة سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه في مشاهدته لفظ الأمر النبويّ ونصّه: "ولا وسيلة أقرب إلى الله، وأنفع لجلب المصالح، ودفع المضارّ من جميع وجوه خواصّ الأسماء والآيات والحروف والدّعوات، وجميع وجوه التّصريفات، من الصّلاة عليّ بصلاة الفاتح لما أغلق بالإذن الصّحيح. فإنّها قريبة الاستجابة لا تخطئ أبدا في جميع الوجوه. وليست من كونها خاصيّة من جملة الخواصّ بل من جهة الاعتناء من الله للمصلّي بها بالإذن الصّحيح منك."

إلى أن قال صلى الله عليه وسلّم: "وما أمرتك به من الصّلاة عليّ هي قريبة سريعة الإجابة مأمونة العاقبة من كلّ شرّ وجالبة لك الخير من كلّ وجه."

ثمّ بيّن صلى الله عليه وسلّم أنّ التّوجّه بالأسماء والخواصّ إذا حصلت به الإجابة فإنّه ينزل مع ذلك البلاء بصاحبه في الحين من حيث لا يدري، اهـ.

وامتثالا لهذا الأمر النبويّ الشريف فإنّ سيّدنا رضي الله عنه صار ينصح كلّ من طلب منه الإذن في الزيادة من الأذكار أن يجعل كلّ ما يزيد منه في صلاة الفاتح لما أغلق ويقول: "أكثر من الصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلّم بصلاة الفاتح لما أغلق فإنّ فيها

خير الدنيا والآخرة وبها يُنال جميع المطالب، ويبلغ بها الطالب جميع المآرب" ١هـ.

وقال في جواب لأحد الخاصة من أصحابه سيدي هاشم بن معزوز رضي الله عنه: "واترك عنك جميع الأذكار فلو ذكرت أذكارك التي تذكر مائة ألف عام من غير الفاتح لما أغلق لم تبلغ مرة واحدة منها ففيها كفاية عن جميع الأذكار" ١هـ.

ومن جوابه رضي الله عنه للعلامة المحبّ بن قدّور الزرهوني: "ثم إنك طلبت مني أن آذن لك في زيادة الأذكار على الورد فاعلم أيّ أجزتك في كلّ ما أردت من الأذكار والأسماء والآيات والأدعية حيثما أردت وكيفما أردت إلا ما كان من أورد الشيوخ التي هي لازمة للدخول في طرقهم فلا آذن لك فيها.

واعلم أن كل ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبيّ صلى الله عليه وسلم والأدعية لو توجهت بجميعها مائة ألف عام كلّ يوم تذكرها مائة ألف مرة وجمع ثواب ذلك كلّ ما بلغ ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق ... إلخ.

فإن كنت تريد نفع نفسك للآخرة فاشتغل بها على قدر جهدك فإنها كنز الله الأعظم لمن ذكرها وكلّ ما تريده من الأذكار فوق الورد فزده منها زائدا على الورد فقد نصحتك لله، " هـ.

وعلى هذا النهج الأحمدِيّ في الحَضّ على الإِكثار من صلاة الفاتح والمواظبة عليها سار خلفاؤه من بعده ولا يزالون كذلك إلى يوم الدّين. وذلك لأنّها كما قال الخليفة أكنسوس رضي الله عنه: "مُغنية في هذا الزّمان عن جميع الأذكار ومتكفّلة بجميع الأسرار."

وقال في الكلام على الزّيادة في التّوافل والأذكار: "وشيخنا رضي الله عنه أمره كلّه على الصّلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويقول: من أراد الزّيادة فليكثر من صلاة الفاتح لما أغلق مخلصا فيها وفي غيرها فهي باب الله المفتوح وكوزه الممنوح" اهـ. وكان يسمّيها رضي الله عنه بطريق السّلامة.

وها هو الخليفة الكبير سيّدنا السيّد السّائحي رضي الله عنه يجيب بعض الخاصّة حين سأله عن بعض الأسرار وخواصّ الأذكار ويرشده إلى ما فيه الفلاح والنّجاح والفتح المبين إذ يقول مفصحا عن سرّ هذا الأمر: " فقد ورد علينا فيما مضى كتابك الموجه على يد (فلان) تأمر فيه بالإفصاح عمّا يتعلّق بأذكار شريفة وخواصّ منيفة... " إلى أن قال: "غير خاف على علومكم الكريمة ما صار إليه حال سيّدنا رضي الله عنه في آخر عمره من تركه رضي الله عنه التّوجّه بالأسماء والاقتصار بالتّوجّه بالصّلاة على سيّد الوجود ومنبع كلّ كرم وجود صلّى الله عليه

وسلّم. وذلك كان منه رضي الله عنه بأمر من الحضرة المحمّديّة، وتربية من السّيادة المصطفوية، عليها من الله أفضل الصّلاة والتّسليم".
"وغير خاف عليكم أنّه أشاع ذلك وأظهره ليقنتي به أصحابه وأتباعه، ويأخذ بالخطّ الأوفر ممّا خصّه الله به تلامذته وأشياعه. لأنّ السرّ في ذلك كما لا يخفى على ذي البصيرة تأكّد الجمعيّة على النور النبويّ، والحثّ على التّضلّع من زمزم السرّ المصطفويّ، ((ماء زمزم لما شرب له)) [البيهقي في الشعب]. فعي واسمعي وإياك أعني يا جارة، وفي الإشارة ما لا تحمله العبارة."

"فهو صلّى الله عليه وسلّم حضرة جميع الأسرار الأسمائيّة والصفاتيّة إلخ...، الباب الأعظم الذي لا مطمع في الوصول إلّا منه، والإمام الأكرم الذي لا تصحّ الصّلاة إلّا لمن اتّمتّ به، صلّى الله عليه وسلّم ومجدّ وعظّم، وعلى آله الكرام، وصحابته الأعلام. وبسط الكلام في هذه اللّمة لا تسعه مجلّدات لو تكلمّ فيه من هو له أهل ومحلّ، وأنا أسْتَغْفِرُ الله ممّا حَمَلْتَنِي عَلَيْهِ مَحَبَّتِكُمْ وَأَخَوْتَكُمْ إلخ... "

ولو لم يكن في هذا الاحتفال بهذه المناسبة العزيزة من ذكرى وفاة السيّد الرّبّي سيّدي الحاج الأحسن البعقلي لهذه السنّة إلّا هذه الفائدة الثّقيسة وهذا التّنبية المهمّ الوحيد الذي أظهرته بركة ذكره رضي الله عنه وذكره لكفى. فإنّي أعتبرها من أنفاسه العطرة ونفحة من علومه

الزّخرة رضي الله عنه وجزاه بكلّ ما يستحقّه من الأجر والإعزاز
والإكرام.

وأسأل الله أن يغدق عليه سحائب الرّحمات الواسعة وعلى
جميع ساداتنا خلفاء وفقراء وذريّة شيخنا رضي الله عنه على ما بذلوه
ويبدلونه من خدمة الطّريقة وأهلها، وأن يحشرنا في زميرتهم، ويجعلنا
في معيّتهم، ويختم لنا ولكم سبحانه بما ختم به لأكابر أهل محبّته من
السّعادة الكاملة، والكرامة الشّاملة، وهي الموت على محبّة شيخنا
قطب الأقطاب، الختم المكتوم التجاني، والسّكنى في جواره وجوار
جدّه صلّى الله عليه وسلّم في أعلى جنّة التّهاني. آمين.

كما نسأله أن يحفظ أنجال وذريّة وأهل الإمام البعقلي ويديم النّفع
والبركة فيهم إلى يوم الدّين.

آمين.

اختصار ترجمة العارف بالله
سيدي الحاج الأحسن البعقلي
رضي الله عنه

الجزء الثالث

أقيمت هذه الكلمة بالزاوية التجانية بدرب غلف (الدار البيضاء)
ليلة الإثنين 10 شوال 1428 هـ
الموافق لـ 22 أكتوبر 2007م

عبد ربّه محمد بن محمد الامزالي
لطف الله به وغفر له

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰی سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْفَاتِحِ الْخَاتِمِ وَعَلَى آلِهِ

الحمد لله بالغ الحمد وأسماءه، على ما تفضل به سبحانه وأولاده، لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، مستغنيا بذلك على كل خلقه جنه وإنسه، وأصلي وأسلم على الياقوتة الفريدة، والذرة الخريدة، جوهرة الكمال، الإنسان الكامل وأكمل الرجال، سيدنا ومولانا محمد الذي عبد الله حق عبادته من الأزل إلى الأبد، فشرّفه ربّه بالمقام المحمود، وفضّله على سائر الوجود، وخصّه بالمدد الممدود واللواء المعقود، وعلى آله وصحبه ذوي الكرم والفخر والوجود.

ورضى الله تعالى على سيدنا الخليفة الكامل، والوارث الشامل عن جدّه علما ومعرفة ومددا وإمدادا، وعلى أهله وذريته وأصحابه وكل من انتسب إلى جنبه الرفيع، وشملّه حماه المنيع.

أمّا بعد، فهذه بحول الله الجلسة الثالثة في التعريف بالخليفة القطب الواصل سيّدي الحاج الأحسن البعقلي رضي الله عنه. وقد كان وقف بنا المطاف في الجلسة الثانية في مثل هذه الليلة من السنة الماضية في الكلام على غرائب مناقبه رضي الله عنه وآخرها

المهمّات الخاصّة التي كان يكلفه بها سيّدنا ومولانا الشّيخ رضي الله عنه مشافهة.

وكتّميم لهذه المناقب الجليلة سأخصّص هذه الجلسة بحول الله لموضوع شيق ومفيد وفريد وهو بعض ما وقع له مع أفراد من العلماء الأعلام من أهل الطريقة وخارجها من مناظرات ومذاكرات. فأقول، وبحول الله وقوّته أصول، لا خير إلّا خيره سبحانه وليّ التّوفيق والإعانة.

مقاصدي في اختيار هذا الموضوع:

اخترت هذا الموضوع وانتقيته من بين أخبار صاحب التّرجمة الغربية:

- لإظهار تسامحه رضي الله عنه وعلوّ أخلاقه وسموّها، ورحابة صدره، وشدّة صبره، وتحمّله خصوصا مع بعض علماء الظّاهر، فإنّه رضي الله عنه كان يرحل إليهم لينفعهم ويردّهم عن غيبيهم ويربّيهم بمعرفته وعلومه الدّنية فيزيل عنهم ما كانوا يتّصفون به من الغرور بالعلم والإعجاب بالنّفس والاحتقار للغير والعصبية للرأي وغمطهم للحقّ. وعلماء الظّاهر أو ما يسمّيه البعض بالفقهاء هم أشدّ الفئات إنكارا على أهل الله ورفضاً للخضوع إليهم والتّسليم لولايتهم.

ولهذا يقول الصّوفيّة: كن فقيراً ولا تكن فقيهاً. وذلك لأنّ الفقيه يعتزّ بعلمه ويرى أن لا علم أعلى منه وأنّ ما درسه هو الحقّ الذي يعلو ولا يعلو عليه، فتطغى عليه نفسه فلا يرى الحقّ لغيره ويقع في العُجب الذي هو عين الهلاك.

والفقير بعكس ذلك ولو كان عالماً، فإنّه يعتزّ برّبّه سبحانه ويحتقر نفسه ولا يرى لها مزيّة ولا أهمّيّة، ويرى أنّ علمه وعمله ومعرفته موهبة من ربّه وسيّده، فيتذلّل لخالقه الذي تفضّل عليه بكلّ شيء. أمّا هو فلا يملك شيئاً، وهل المملوك يملك مع سيّده؟ والفقير هو أصل المخلوقات وهو أصل العبد الحقيقي ((أنتم الفقراء إلى الله وهو الغنيّ الحميد)).

قال في الحكم: لأنّ تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه. فأيّ علم لعالم يرضى عن نفسه وأيّ جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه.

وكثيراً ما كان القطب المرّبّي سيّدي العربي بن السّائح يقول لمن رآه من علماء تلامذته غلبت عليه نفسه وأعجب بعلمه: يا فلان أبارك (أي اضغط) على نفسك بصلاة الفاتح حتّى تصير هاؤك راء أي تتبدّل فتصير فقيراً بعد أن كنت فقيهاً فتتبرّأ من علمك ومعرفتك ومن نفسك ومن كلّك، وذلك لا يحصل إلّا بالإكثار من ذكر صلاة الفاتح

لما أغلق قلبا وقالبا وروحا ولبًا، فعند ذلك تشرق عليك أنوارها فتحرق
أوصافك الدّميمة المشينة المهلكة وتزيل منك الاعتزاز بعلمك والغرور
ببناء الخلق عليك وما يصحب ذلك من الإعجاب بالنفس والفخر
والخيلاء والبطر.

فإذا تطهّرت سكنت واطمأنت وخضعتُ لربّها وتدلّلتُ لجلاله.
ولا فوز للعبد إلاّ في التذلل لربّه والافتقار إليه إذ هو أصله وحقيقته.

- وعلاوة على ما تقدّم من إظهار سموّ أخلاق صاحب التّرجمة في
مناظرة ومناقشة العلماء، ما في حكاية هذه الوقائع من فوائد علميّة
ومعرفيّة وروحيّة وتهذيبيّة ومنافع جليّة، وهذا هو المقصود الأهمّ من
التّعريف بأكابر العارفين أهل الله الذين جعلهم الله نبراسا لمن أراد
الوصول إليه ﴿فِيهِدَاهُمْ اقْتِدِهِ﴾ [الأنعام 90]، ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ
إِلَيَّْ﴾ [لقمان 15].

- كما تُظهِر هذه الوقائع سعة علم صاحب التّرجمة وعمقه وقوّته وعلوّه
عن كثير من أكابر العلماء في بعض الأحيان. وكيف لا وهو يغترف من
العين التي لا تنضب، ويستمدّ من المشكاة التي لا تخدم، من بحار
العلوم المحمديّة التي ورثها عن شيخه القطب المكتوم، ترجمان لسان

التَّوْبَةُ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا أَحْمَدُ التَّجَانِي، سَقَانَا اللَّهُ مِنْ بَحَارِهِ بِأَعْظَمِ
الْكُؤُوسِ وَالْأَوَانِي.

أليس هو- سيدي الحاج الأحسن- القائل افتخارا بشيخه
واعترازا به ما معناه: إذا مسكت بسيدنا الشيخ رضي الله عنه قرأت
لكم التَّوراة كما أنزلت من حظي.

وعلاوة على سعة علمه يعزّز ذلك بقوة بيانه ونصاعة كلامه وقوة
حجّته وعلوّ همّته وثقته بنفسه وبما أنعم الله به عليه وقوة شخصيته
وهيبته ممّا يجعل كلّ من قابله يخضع له ويستسلم ويصير من أقرب
النّاس إليه ولو كان عدوّا منكرا بل يتلمذ له ويصير من أشدّ النّاس
حبّا له وتفانيا في خدمته.

ومع هذا كلّه فإنّه كان في غاية التّواضع مع ربّه ومع خلقه وعباده
فلا يظهر استعلاء ولا فرحا ولا افتخارا بنصره أو تفوّقه ولا يزهو ولا
يختال ولا يرى له فضلا أو علوّا على خصمه بل يعامله بالرّفق بعد
سطوة العلم وبالأخلاق الحسنة التي جُبل عليها ﴿ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصّلت 34].

وهذا هو سرّ خضوع كلّ من عرفه أو عاشره أو قرأ كلامه في
المغرب وخارجه، فلا يملكون إلاّ الاستسلام والاعتراف له بالتفوّق
والرّئاسة الإلهية المؤيّدّة بالعناية الرّبّانية.

بعض الوقائع بين الخليفة البعقلي والعلماء الكبار:

وقد آن الأوان لذكر بعض الأمثلة الحيّة لمناظراته رضي الله عنه مع بعض علماء وقته سواء من أهل الطّريقة أو خارجها. مع بعض العلماء من الشّام:

لمّا ذهب رضي الله عنه إلى الشّرق لأداء مناسك الحجّ وذلك عام 1345 هـ لقي في السّفينة التي نقلته إلى ميناء جدّة جماعة من العلماء من الشّام.

هوّلاء العلماء وجدوه يطالع كتاب "نور الأبصار في ذكر آل التّبّي المختار" فسلموا عليه فقال له أحدهم: يا شيخ أعطنا كتابك لنطالعه وردّه إليك. فقال له: كتابي لا يخرج من يدي. فسأله آخر: ما مذهبك أيّها الشيخ فأجاب، وكان إذّاك قد أدرك القطبانيّة منذ خمس سنين: مذهبي القرآن والسّنّة غير أنّي أستعمل مذهب مالك لأنّه أقرب إليّ تناولاً. فقالوا بلسان واحد: رضي الله عن الإمام مالك محلّل الكلاب. فقال لهم: رضي الله عنكم تحرّمون غير ما حرّمه الله، أخبروني هل تجدون في كتاب الله دليلاً على تحريمه (أي الكلب) واقروا إن شئتم: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ

اللَّهُ بِهِ ﴿ [الأنعام 145]. فقالوا: رضي الله تعالى عنك من إمام، نريد أن نخبرنا هل لعائشة نصيب في دم عثمان؟ فأجاب: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. فسكتوا وانصرفوا.

ثم التقى بهم في المسجد النبوي بعد الحج. يحكي رضي الله عنه أن ذلك اليوم نزل فيه المطر الغزير وكان الناس يتسابقون لجمع الماء الذي يصب من سطح المسجد ويغسلون به ويشربونه. وكان هو رضي الله عنه جالسا في المسجد يذكر بعض أوراده، فأتاه أولئك العلماء وسلموا عليه وقالوا له: أيها الشيخ انظر إلى هؤلاء الجهال ماذا يفعلون. فأشار إليهم أن ينتظروه، ففعلوا. فلما فرغ من ذكره قام دون أن يكلمهم وذهب إلى الميزاب ونزع طربوشه وملاه بماء المطر وصبه على رأسه وذاته ثم ملأه وشربه ثم ملأه وأتى به ووضع أمامه وجلس يذكر وهم ينظرون. فلم يتكلموا ولو بكلمة ثم انصرفوا. فأجابهم بهذا عن أفكارهم الذي كان في غير محله. فمن ذا الذي ينكر التبرك بماء المطر الذي نزل على تلك البقعة الطاهرة التوراتية ومن ذا الذي ينكر التبرك بالآثار النبوية الشريفة. وهذا يظهر سوء عقيدة هؤلاء الأشخاص ولهذا عاملهم بالجفاء والبرودة التامة.

مع العلامة المحدث سيدي محمد بن أحمد ألفاهاشم الفوتي رضي الله عنه: هذا السيد من أكبر رجالات الطريقة التجانية ومن علمائها المرموقين، وهو ابن أخ السلطان المجاهد الخليفة سيدي الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه، وهو من أكبر حفاظ الحديث النبوي الشريف في عصره. فقد كان يحفظ مائتي ألف حديث بأسانيدھا فكان بحق محدث الحرمين. أخذ عنه العلماء من مشارق الأرض ومغاربھا وطبقت شهرته العالم الإسلامي. وله تآليف عديدة طريقة وعلماء. توفي رضي الله عنه عام 1349 هـ ودفن بالبقيع.

لمّا زار سيدي الحاج الأحسن المدينة وتشرف بالمشول بين يدي سيّد الكونين صلّى الله عليه وسلّم وأدّى ما يجب من زيارته صلّى الله عليه وسلّم، صار يبحث عن الزاوية التجانية بالمدينة المنورة⁴ فأرشدوه إليها فإذا البناية التي فيها هي عبارة عن عمارة من طوابق. فلمّا دخل وجد العلامة ألفاهاشم جالسا يستقبل وفود الزوّار الذين يردون لزيارته والتبرّك به والأخذ عنه. فسلم عليه صاحب الترجمة فلم يعره أيّ انتباه، فجلس مع الناس وعلى عادته فإنّه لا يسكت بل يثير المذاكرة. فسأل ألفاهاشم: سيدي هذه زاوية أو دار تذكرون فيها؟ فأجابه: بل هي

⁴ وهذه كانت عادته رضي الله عنه كلّما حلّ بمدينة أوّل ما يفعل يبحث عن الزاوية التجانية للعبادة والذكر ومواصلة الإخوان.

زاوية. فقال له: لا يصح أن تكون زاوية لأنّ فوقها طبقات مسكونة، وهي مسجد والمسجد يملك ما فوقه إلى قبة العرش. فهزّ هذا الكلام السيّد ألفهاشم وأثار اهتمامه وانتباهه لهذا السيّد الذي أجاب هذا الجواب الذي لا يليق إلاّ بأكابر العلماء. وهذه كانت عادة صاحب الترجمة يهزّ مخاطبه ويزعزعه بعلمه فلا يملك إلاّ أن ينتبه إليه ويعطيه ما يستحقّه من عناية واهتمام. فالتفت ألفهاشم بكلّ جسده إلى سيّدي الحاج الأحسن وأعطاه اهتمامه كلّه وأعرض عن الحاضرين، ثمّ سأله: فماذا أفعل؟ أأهدمها؟ فأجابه: لا، ففي هدمها فساد والله لا يحبّ المفسدين. فسأل ثانية: فماذا أفعل إذن؟ فأجابه: بل تتبعها وتشتري بثمنها أرضا وتبني فيها الزاوية. فاستحسن رأيه وقبل اقتراحه وقال: سأفعل بحول الله وقوّته.

هنا وقع السؤال منه للخليفة لتعرّف عليه فلمّا تعرّف إليه عظّمه وأجلّه ألفهاشم وأقبل عليه إقبالا كليّاً وصار يتذاكر معه. وفي بداية المذاكرة قال له سيّدي الحاج الأحسن: أنا لا أذكرك في العلم الظاهر فلقد أوتيت الحظّ الوافر منه، وتحفظ مائتي ألف حديث ولكن أذكرك في العلم الباطن.

ثمّ سأله الفقيه: أنت أخذت الطريقة أم هي التي أخذتك؟ فأجاب: أنا أخذتها. فسأله: المحبوب يؤخذ أو يأخذ؟ فقال: المحبوب يؤخذ.

فقال: أما قال الشيخ رضي الله عنه سائق السعادة: أنتم محبوبون مقبولون على أيّ حالة كنتم. فقال ألفاهشم وقد جلس على ركبتيه: هي الذي أخذتني هي التي أخذتني، وصار يكرّر الجملة فوق ركبته اليمنى كما يكرّر التلميد اللوحة.

فلما رأى العلماء زوّاره استغراقه مع سيّدي الحاج الأحسن وهو لا يلتفت إليهم سأله: يا سيّدي من هذا الرّجل الذي نراك اعتكفت عليه؟ فالتفت إليهم وقال: والله إنّ هذا الرّجل سيّدي أحمد التجاني أرسله ليعلمكم دينكم كما أرسل الله جبريل ليعلم الصّحابة دينهم.

ثمّ سأل الشيخ الفقيه قائلاً: طريقة سيّدي أحمد التجاني ليست في القرآن؟ فأجاب: أعوذ بالله أن نعبد الله بما ليس في القرآن. فقال: وأين طريقة سيّدي أحمد في القرآن؟ فأجاب: طريقة سيّدي أحمد التجاني مذكورة في القرآن ﴿اهدنا الصّراط المستقيم﴾. فصار يكرّر العبارة فوق ركبته اليمنى. ثمّ قال له سيّدي الحاج الأحسن: طريقة سيّدي أحمد مذكورة في القرآن أربعين مرّة.

وسأل ألفاهشم الخليفة: ما حكمة الله في ظهور الوهابيين، أي في الجزيرة العربيّة والحرمين؟ فأجابه: حكمة الله في ذلك هي قطع مادّة التّوغلّ والغلوّ في محبّة النّبّي صلّى الله عليه وسلّم من قبل جهلة المسلمين. ثمّ قال له: وإنّك ستبتلى بهم، أي بالوهابيين فإذا سألوك

عن الطريقة التجانية فقل لهم: الطريقة التجانية هي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴿﴾. وكانت للرجلين جلسات بعد هذا طيلة مدة إقامة سيدي الحاج الأحسن بالمدينة.

وفعلا امتحن الحافظ ألفهاشم امتحانا عسيرا على يد الوهابيين وصبر محبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سيدنا الشيخ رضي الله عنه فلزم بيته إلى أن توفاه الله رحمه الله ورضي عنه. ولقد أرسل إليه سيدنا رضي الله عنه خليفته البعقلي ليرييه ويهدبه بآداب وأذواق الطريقة، ولعل الفقيه أجاز له لأنه كان يعده من تلاميذه الآخذين عنه⁵.

مع العلامة الشريف سيدي أحمد مصباح بن محمد الأنجري أبو العيش: تقدم لنا السنة الماضية أن من المهمات التي كلف بها سيدنا الشيخ رضي الله عنه الخليفة البعقلي أن أمره بأن يذهب إلى زاوية طنجة لإطفاء نار الفتنة التي نشبت من جراء اختلاف العلماء والمقدمين هناك فيمن يتولى تسيير الزاوية، وأن الخليفة جمعهم واطلع على إجازات المقدمين الموجودين بالزاوية وعددهم يقرب من العشرة،

⁵ وهذا دليل على أن المرأ ولو بلغ من العلم أقصى درجة ومرتبة فإنه لا يصل إلى المعرفة العيانية في الطريقة.

كلّهم علماء مقدّمون أكفّاء فاختر منهم سيّدي عبد السّلام الجاي بإشارة نبويّة رآها في جبينه.

وتمام القصة أنّ هؤلاء السّادة طلبوا من سيّدي الأحسن أن يحلّ مشكلا آخر استعصى عليهم وهو مشكل العلامة المقدّم الشّريف سيّدي أحمد بن محمد مصباح أبو العيش الذي انقطع في بيته واعتزل الثّاس وقاطع الزّاوية ورفض أن يخرج أو أن يدرّس العلم كما كان من قبل.

وهذا السيّد من أكابر علماء عائلة أبو العيش ومن أكابر الطّريقة بطنجة. عمّر كثيرا. وكان أخذ العلم ببلده وبمدينة فاس وتلقّى بها الطّريقة عن العلامة سيّدي أحمد بنّاني كلا، والعلم عن علماء القرويين وعلماء الزّاوية الكبرى وعلى رأسهم سيّدي الحاج محمد جنون رحمه الله ممّا جعل له مكانة مرموقة في طنجة سواء في الأوساط العلميّة أو في الأوساط التجانيّة.

سأل سيّدي الحاج الأحسن عن مشكله فقالوا هو عالم كبير، كبير السنّ، يرفض أن يخرج من بيته وأن يستقبل أحدا ويقول: الثّاس اليوم كلّهم ذراري (أي صبيان) ولم يبق حتّى عالم. فقال: هيّا بنا إليه. فذهبوا إليه ليلا، ولما دقّوا الباب استقبلهم فتعجّبوا من ذلك وفرح بهم وأدخلهم إلى داره خصوصا لمّا رأى الفقيه البعقلي وقال له: يا سيّدي

سمعت عنك كثيرا وأعجبت بك قبل أن أراك وبلغني ما فعلت في الزاوية وجزاك الله خيرا حيث سكنت لنا البلاد وأصلحت العباد.

ولمّا أكلوا وأتاهم بالشّاي، سأله الفقيه كعادته ليفاتحه بالمذاكرة: يا سيّدي اسمك أحمد؟ قال نعم، قال: وما كنيّتك؟ قال: مصباح، فقال له: أعرب لي ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور 35]، فأعربها على القواعد التّحويّة. فلمّا سكت، صار الفقيه يفسّر الآية وتكلّم على لفظة مصباح بما أوتيّه من المعرفة بكلام عال جدّا حتى تعجّب العلامة مصباح وطرب لذلك التّقرير ثمّ قال: أنا أقول في نفسي أنّه لم يبق عالم يتكلّم عن هذه العلوم في هذا الزّمان التي لم أسمعها منذ شيخي الحاج محمد كنون. وطالت المذاكرة ولم يشعروا حتى أدركتهم صلاة الفجر. بعد أداء الصّلاة وذكر الوظيفة والأوراد جلسوا للمذاكرة مع الفقيه.

فسأل الفقيه البعقلي العلامة أحمد مصباح: ماذا تقول في قول الإمام الغزالي "ليس في الإمكان أبدع ممّا كان" فأجابه: أنا أوّل من يقول بكفر الغزالي بهذا. فقال له الفقيه: يا مسكين لم تفهم كلامه على حقيقته ولم تعرف ما يشير إليه، مراده أنّه ليس في الإمكان أشرف وأعلى وأجمل وأكمل من صورة الكون كلّ ولا صورة الكون كلّ إلا سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، وكلّ ما تراه في الكون فهو في جسم واحد ما ثمّ إلا هو صلّى الله عليه وسلّم أشرف كلّ ما خلق الله. ثمّ

صار يشرح له أفضليته صَلَّى اللهُ عليه وسلّم وشرف مرتبته في الكون الذي خلقه الله من حقيقته صَلَّى اللهُ عليه وسلّم.

فطرب العلامة مصباح لذلك التقرير العالي النَّفس، فلم يشعر بنفسه إلا وهو يمدّ يده إلى الفقيه ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ سيّدنا محمدا رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم وأنا تائب لله.

فلما علم الفقيه أنَّه صادق في توبته صار يعاتبه على عدم خروجه وقال له: سيحاسبك الله سبحانه على علمك الذي حرّمت منه النَّاس وكنتمه عليهم. فسأله: يا سيّدي ماذا أفعل الآن؟ قال له تخرج وتصلّي بالنَّاس كما كنت في المساجد وتدرّس فيها كما كنت وتنفع النَّاس وتعمّر الزاوية. فامتثل، وخرج من يومه، وفرح النَّاس بعودته إليهم وإلى دروسه ونشاطه إلى أن التحق بربه.

مع الشَّيخ شعيب الدَّكالي الصّديقي:

شهرة الشَّيخ شعيب الدَّكالي رحمه الله لا تحتاج إلى بيان، فقد كان من عجائب الله علما وحفظا وذكاء وفطنة.

ولد بدار الفقيه ابن الصّديقي بدكالة عام 1296 هـ، وكان أعجوبة في الحفظ. حفظ القرآن كلّهُ إلا خمسة أجزاء، أي خمسين حزبا منه في سنة واحدة، وحفظ الأجروميّة في يوم واحد، وألفية ابن مالك في عشرة أيّام، والشَّيخ خليل في خمسة أشهر. واستكمل القرآن

بالروايات السبع، ثم أخذ العلم بمراكش وبمصر، وتولّى الإمامة والتدريس بالحرم المكيّ سنة ثم رجع إلى المغرب فتولّى به مناصب عالية منها وزارة العدليّة. وكان يحفظ مائتي ألف حديث كشيخه محمد ألفهاشم المتقدّم. كما كان آخر حقاظ الحديث بالمغرب بحيث يروي الأحاديث النبويّة بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهو الذي أتى بمذهب السلفيّة أو الإصلاح إلى المغرب ونشره وتظاهر بمحاربة البدع والإنكار على الأولياء. إلا أنّ الله رحمه في آخر حياته باللقاء مع الخليفة البعقلي رضي الله عنه، فكان لقاءهما لقاء الصوفيّ بالوهابيّ. ولقد خضع رغم علمه لسطوة ولاية وعلوم البعقلي ونشأت بينهما محبة عميقة متبادلة ممّا يدلّ على صدق قوله سيدي محمد العربيّ الدمراوي رضي الله عنه: "السّرّ يخرق العلم والعلم لا يخرق السّرّ".

كيف تمّ ذلك اللقاء؟ كان الرّجلان قد ذاع صيتهما في الأوساط العلميّة والطرفيّة في المغرب وخارجه وتمّ لقاءهما في دار باشا بمدينة خريبكة صدفة، ودارت بينهما مذاكرة عالية ومحاورة علميّة طيلة ثلاثة أيام تناولت مواضيع كثيرة تتعلّق بالأنكحة الفاسدة والمعاملات والزكاة والقبض والسّدل في الصّلاة إلى غير ذلك من الأمور، وبعد ذلك التقى به بالرّباط.

كان مذهب الشيخ شعيب كأهل الحديث القبض في الصلاة. فلما أثير الموضوع بين الرجلين قال الدكالي: لم أجد حديثاً واحداً صحيحاً في السُّدَل ووجدت ثلاثين حديثاً كلها صحيحة في القبض وأنا أحفظ مائتي ألف حديث. فقال له سيدي الأحسن: أنت عندك ثلاثون حديثاً في القبض وكلها مضطربة السُّنَد ولم يكن عندك حديث واحد صحيح في السُّدَل. فلما سمع الشيخ شعيب هذا الكلام سكت وصار يسرّح لحيته بيده ويتعجّب. فقال له الفقيه: وأنا أستطيع أن أستخرج لك ثلاثمائة حديث في السُّدَل كلها صحيحة. فقال له: أين تجدها؟ فأجابه: أجدها عندي في النخبة⁶ (أو الإصابة)، قال: أتعرف النخبة (الإصابة)؟ قال له: بل أحفظها. فلا يذكر الشيخ شعيب باباً من الكتاب إلا وسرده الفقيه عليه. فصار يتعجّب. ومما زاده تعجّباً يذكر له الحديث ورواته وتراجمهم، فسأله كيف يحفظ كل ذلك فأجابه بأنّه يراه أمام عينيه كاللّوح.

ثمّ انجرّ بهما الكلام إلى ذكر الشيخ ألفاهاشم عالم الحجاز فصار الشيخ شعيب يثني عليه وينوّه بعلمه الواسع وحفظه للحديث النبويّ ويفتخر بالأخذ عنه. ثمّ سأل الفقيه: أتعرفه يا سيدي حسن؟ فقال:

⁶ لعله كتاب نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني.

نعم أعرفه، إنّه من تلاميذي. فسأله بدهشة: ألفاهشم من تلاميذك؟ قال له: نعم، في الطريقة التجانية. ثمّ حكى له ما تقدّم لنا قبل. فقال له: والله يا سيّدي حسن إنّه لا يُسلّم العلم إلّا لألفاهشم، كررها ثلاثا، فإنّي ما رأيت حافظا ومنتقنا للكتب السّنة من ألفاهشم، فإنّي كلّما جلست أمامه يفيض ويُفيض حتّى لا أرى نفسي أمامه إلاّ كتلميذ صغير مبتدئ أو كأمّي بالنّسبة لما يقول، مع أنّي إذا جالست غيره من العلماء أراهم دوني ويدينون لي بالتّفوّق في علم الحديث. وبما أنّه أخذ عنك وأذعن لك فأنت إذن عالم العلماء.

ثمّ سأل الفقيه الشّيخ عن سوس وعلمائها فقال له: والله يا سيّدي لا أحبّ إلاّ سوس وعلماءها، فإنّي لمّا سافرت إلى مدينة تارودانت دخلت إلى جامعها الأعظم فوجدت عالما يشرح صحيح البخاري فجلست أنصت إليه فإذا هو يظهر العجب في درسه وتقريراته حتّى أخذتني رعشة ولم أشعر بنفسي حتّى قلصت بإصبعي تحت ذقني وقلت: هاك يا شعيب كلّ النّاس علماء إلاّ أنت. ثمّ قال سيّدي الحاج الأحسن للشّيخ شعيب: أوصيك بأهل سوس فإنّهم ضعفاء مساكين، اعتن بهم وبعلمائهم ولا تفرّط فيهم. وما رأيك فيهم؟ فأجاب الدّكالي: أرى أنّ الله فرّقهم في البلدان لإقامة الدّين وتثبيت العقيدة وإقامة العبادة. فما رأيت كحزمهم والتزامهم، لهذا أحبّهم.

وعند الفراق سأل الشيخ شعيب سيدي البعيلي: ما رأيك في
يا سيدي حسن؟ فأثنى على علمه وحفظه وقال له: والله ما مثلك إلا
كمثل قرية كبيرة مملوءة عسلا، أينما ثقتها يخرج منها العسل غير أنها
لا تنتفع هي بذلك العسل. فصدّقه وأقرّه. والمعنى ظاهر.

ولقد أعجب سيدي الحاج الأحسن بالشيخ شعيب رغم عيوبه
وأحبه لأنه يحفظ الحديث النبويّ ويخدمه، وكان ينوّه به ويحفظه إلى
أن رأى سيّدنا الشيخ رضي الله عنه في واقعة وهو يكرّر بصوت عال
قوله صلى الله عليه وسلم: يا معشر من آمن بلسانه ولم يُفُض الإيمان
إلى قلبه لا تؤذوا الناس. فقال الفقيه للحاضرين: هذا هو الحافظ حقيقة
وأما حفظ الشيخ شعيب فإنّما هو مجازي. فقال سيّدنا رضي الله عنه:
نعم أنا هو الحافظ أنا هو الحافظ لا الشيخ شعيب وأي شيء هو
الشيخ شعيب، ا.هـ.

وحكى سيدي الحاج الأحسن مرّة أنّه كان يتعجّب من حفظ
الشيخ شعيب مائتي ألف حديث فأتاه سيّدنا الشيخ رضي الله عنه
وقال له بجلال: أنا هو الحافظ لا الشيخ شعيب ا.هـ. قال: فتعجّبت
من غيرة سيّدنا رضي الله عنه.

قلت وهذه تربية من سيّدنا رضي الله عنه للفقيه ليرجع عن تنويبه
بذلك العالم لأنّه قدوة يتأسّى به النَّاس فلا يصحّ منه الميل إلى غير

الشيخ رضي الله عنه أو إيهام أنّ هناك من هو أعلى منه، وكلّما علت
المرتبة اشتدّت المؤاخدة.

ومن مظاهر المحبّة التي كانت بين الرّجلين ما حكى سيّدي
الحاج الأحسن أنّه لما مات الشيخ شعيب (وذلك يوم 18 جمادى
الأولى عام 1356 هـ بالرباط) رأى صبيحة ذلك اليوم مكتوبا في كلّ
زليجة من زليج داره: عظم الله أجرك في الشيخ شعيب.

مع علماء وفقراء طنجة وتطوان والشيخ الحيّ:

مسألة الشيخ الحيّ من الفتن التي ابتليت بها الطريقة والسبب
في ذلك هو الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتّاني. فإنّه قام بحملة
عشواء على الطريقة وفتن كثيرا من العلماء التجائين فضلا عن غيرهم
فانسخوا منها وذلك أنّه ينقل لهم كلام سيّدنا رضي الله عنه في
الجواهر أنّ السّرّ والوصول لا يكون إلا على يد الشيخ الحيّ. ولقد ردّ
عليه الكثير من العلماء.

وفي تلك الآونة، كان سيّدنا صاحب التّرجمة بالقصر الكبير،
فلنتركه يحكي لنا ما وقع بلسانه كما حكاه سيّدي محمد الأمين
الفتواكي رحمه الله: وقف عليّ الشيخ يوما فقال لي: أدرك فقراء طنجة
والآ محوت اسمك من ديوان الفقراء. فذهبت إلى طنجة ووجدت

الفقراء في فتنه بسبب بعض المقدمين الكبار القائلين أنّ الطريقة لم يبق فيها أيّ سرّ لأنّ السرّ يبقى مع الشّيخ الحيّ، والشّيخ الحيّ لم يوجد اليوم. فمكثت معهم أربعين يوماً كلّها في البحث والمناقشة وكنّت استغرقت معهم ثمانية عشر يوماً في صلاة الفاتح وأسرارها، وكنّت كلّما بدأت الدّرس إلّا وأشهد أسرارها في اللّوح المحفوظ، وليلة واحدة في قضية الإسراء، وواحد وعشرون يوماً في علوم الطريقة وأسرارها.

ومن جملة ما قالوا: أين الشّيخ الحيّ في الطريقة؟ فقلت لهم: أنا هو، وأظهرت قوّة الشّيخ رضي الله عنه، فقالوا: لم نر فيك شروط المشيخة. فقلت: إن كان شروط المشيخة علوم الظّاهر والباطن وباطن الباطن فأنا أعلم بذلك منكم ومن أشياخكم والعرب بالباب. فقالوا بارك الله فيك نريد أن تتكلّم معنا حسب عقولنا، تكلمّ معنا في جوهر العقل. فقلت: اعلموا أيّدكم الله أنّ كلّ من أراد أن يدخل حضرة السّلطان لا بدّ أن يجردوه من كلّ سلاح، والعقل عند العارفين سيف لا يصلح مع حضرة الله. فقالوا: تكلمّ معنا في الحال. فقلت: العامّة يملكون أحوالهم والخاصّة تملكهم أحوالهم والعارفون لا حال لهم وأنا منهم فلا أخوض فيه.

فقالوا إنّنا نذكر من صلاة الفاتح ستمائة ألف في نفس واحد، وهل استطعت ذلك؟ فقلت لهم: إنّ كلّ ما تذكرونه كلّكم من التّضعيف تذكره ركبتى هذه. فثنيت ركبتى إليهم وقلت لهم: اسمعوا. فصار كلّ واحد يدنو من ركبتى ويسمعها تذكّر صلاة الفاتح.

وإنّما عملت معهم ما عملت لأبّي رغبة الشّيخ. وبذلك استطعت أن أخضعهم حتّى تابوا واعترفوا بخطئهم وأعطيت لهم الطريقة كما أمرني الشّيخ رضي الله عنه. وقد رأيت منهم أموراً عجيبية وذلك أنّي تركتهم حتّى ناموا فقمّت إليهم وجعلت أفنح أفواههم واحداً بعد واحد، فأجد في فم كلّ واحد أربعة عشر لساناً كلّها تتلو صلاة الفاتح بكيفيّة سريعة غريبة لا يطيقها العقل اهـ.

وأما أهل تطوان فإنّ فقراء وعلماء منها أتوا الفقيه بالقصر الكبير وقالوا له: بلغنا عن الشّيخ التجاني رضي الله عنه أنّه قال: لا يقع الفتح للمريد إلّا على يد الشّيخ الحيّ. وأين هو في هذه الطريقة؟ فما ظهر لنا أحد. فقال لهم: إنّ الطريقة التجانية مملوءة بهم، وأقلّ ما يكون فيها ستمائة من الإنس وثلاثمائة من الجنّ وهذا العدد دائماً فيها. فقالوا: إنّ ما ذكرت ما ظهر لنا منها أحد. فقال: ها أنا ظهرت. فأجابوه: ما تتوفّر فيك شروطها. فقال: فقلت لهم مثل ما قلت لفقراء طنجة: فليس معكم من يضاهيني اليوم منكم ولا من أشياخكم في هذا الميدان،

ميدان العلوم الظاهرة والباطنة. فقالوا: بارك الله فيك وفي علومك، نريد منك أن تتكلم معنا على قدر عقولنا. فقال: لكم ذلك. قالوا: ما هو العقل؟ فأجاب: اعلّموا أنّ الإنسان ما دام عنده قدر رجل برغوث من العقل لا يدخل حضرة الله لأنّ العقل بمنزلة السيف في حضرة السلطان. وكلّ من أراد أن يدخل على السلطان لا بدّ أن يجردوه من كلّ سيف فما دونه. فمن تجرّد دخل ومن أبى طرد ومُنِع من حضرة الله ويبقى مع عقله خارج الباب والسلام.

قالوا: نريد أن تتكلم معنا في الزهد. فقال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، اعلّموا أيّدكم الله أنّ الزهد حرام في سوق العارفين ولأنّنا منهم فلا أخوض فيه أبداً والسلام عليكم.

فقالوا: نريد أن تتكلم معنا في الحال. فقال: العامّة ملكوا أحوالهم والخاصّة تملكهم أحوالهم والعارفون لا حال لهم، بل هم مع ربّهم. العاقل ينبغي له أن يتتبع المائدة الموضوعة للكرم أينما نزلت، والعاجز الأحمق لا يبرح من موضع المائدة وإن ارتفعت. فالمراد بالمائدة المرّي في الطريقة الناصح الذي يعلمك كيف تصل إلى حضرة ربّك، ا.هـ.

مع العلامة سيدي إدريس ابن المختار مقدّم الجديدة "تعريف وجيز"

حدّثني رحمه الله أنّه كان يسمع بالفقيه البعقلي ولا يعرفه. قال: وذات ليلة صلينا في الزاوية المغرب والعشاء جمعا بسبب المطر الغزير، ولما انتهت الصلاة خرج الفقراء وبقي فقير واحد قام يتنقل، فأرسلت إليه المؤذن ليقول له لا نافلة الآن إلى أن يفوت وقت العشاء. فقال: نعم، ثم عاد إلى الصلاة فعاودته، فقال: نعم، ثم قام للنافلة. فقلت للمؤذن: أعرض عن الجاهلين، فقال لي: ما نعتني إلا بوصفي الحقيقي. فلما سمعت منه ذلك قلت: هذا الرجل ليس من العامة. فجئت إليه وقلت: يا سيدي، هذا الوقت الذي بعد الجمع بسبب المطر لا نافلة فيه. فقال لي: أعرف ذلك ولكنني أنا مسافر ولست مقيما. فسألته: من أنت بارك الله فيك؟ فقال: أنا الأحسن البعقلي. فسألته: من الدار البيضاء؟ قال: نعم. فسلمت عليه ولم أتمالك حتى عانقته بحرارة، وقلت له: كنت أسمع عنك ولكنني لم أتعرف عليك فسامحني.

ثم ذهب معه إلى وليمة ولما رجعا إلى البيت باتا في المذاكرة وتوطدت بينهما أواصر المحبة وبعث إليه الفقيه كتبه المطبوعة، والغالب أنّه أجازته فقد طالت بي المدة عن هذه الحكاية.

مع الفقيه العلامة سيدي أحمد سكيح القاضي:

كانت العلاقة بين الرجلين متّسمة بالمحبّة والاحترام، إذ يعترف كلّ واحد منهما للآخر بالفضل والعلم واتّساع المعرفة في الطريقة والإحاطة بأسرارها.

زار البعقيلي القاضي سكيح في بيته بمدينة سطات ودارت بينهما مناقشات حول قضايا أثارها المبعضون حول الجواهر وأنّه منقول من المقصد الأحمد وفي قضية القاضي الجوهري. بين الفقيه وجهة نظره في الموضوعين للقاضي ووضّح له ذلك بالدلائل العقلية والشرعية.

ولقد احتفظ لنا تلميذه سيدي محمد الأمين بما يتعلق بقضية الإمام الجوهري وملخصها كما في الجواهر مفادها: أنّ هذا القاضي الجوهري المصري كان عليه جنابة فخرج ليغتسل في النيل وحمل خبز داره إلى الفرن، فأعطاه للفرّان وذهب إلى النيل ليغتسل. وأثناء الغسل وقعت له سنة أو غفوة قليلة رأى نفسه فيها دخل بغداد وتزوَّج بها بامرأة أنجبت له عدّة أولاد ودام زواجه بها ستّ سنين. ثمّ أفاق فأكمل غسله، ثمّ ذهب إلى الفرن وأخذ خبزه ورجع إلى داره ثمّ أخبر زوجته بما وقع له. وبعد شهرين جاءت المرأة البغدادية ومعها أولادها تسأل عن القاضي الجوهري تسأل عن داره. فقالوا لها: من أين تعرفينه وأنت من العراق؟ فقالت: أنا زوجته وهؤلاء أولاده. فقالوا لها: ما خرج

من هنا. فدقّت الباب ولمّا فتح لها عرفها وعرف أولاده فأدخلهم وقال لزوجته المصريّة: المرأة التي ذكرت لك ها هي قد جاءت بأولادها. وهذه الحكاية ذكرها غير واحد من العلماء في باب كرامات الأولياء وهي من أعجب القصص وأغربها، وقد حيّرت العلماء حتّى أنكرها كثير منهم، وهي التي تذاكر فيها العالمان البعقلي وسكيرج.

قال العلامة سكيرج: إن سلّمنا ما ذكرت من ناحية المقدّمة، أي مقدّمة الجواهر، فإنّي لا أسلّم قضية القاضي الإمام الجوهري التي ذكرها الشيخ في الجواهر⁷ فإنّا إن سلّمناها لا يصلح أن نكون علماء فضلا أن نكون من العارفين، وبماذا نفسّر الفرق الزمّني للأولاد؟ وكيف ومتى تمّ تعليمهم؟ وما هو الفارق الزمّني بينهم؟ فقال له الفقيه: أنا أسلّم كلّ ما ذكر سيّدنا الشيخ رضي الله عنه ولو محالا.

فقال له: إئتني بالدليل ولكن لا أحبّ منك الدليل الآن حتّى تبحث بحثا دقيقا.

فقال له البعقلي: أنا آتيك بالدليل قبل أن تقوم من مقامك.

⁷ وكان القاضي سكيرج يصرّح بأنّ هذه الحكاية من الأمور المدسوسة في الجواهر

ثم قال له: ما تقول في قضية عزيز؟ كيف سجّل مائة عام في نصف يوم؟ اهـ (أي أدخل مائة عام في نصف يوم لأنه أماته أول النهار ولمّا أحياه كان آخر النهار). فقام العلامة سكيرج وقعد وقبل وسلّم.

وحكى لي سيّدي الحاج عبد الله الكرسيّني عن سيّدي الحاج الأحسن أنّه قال له في هذه المرة أو في مرّة أخرى: أتتكر هذا وأنت وقع لك مثل ذلك؟ فسأله العلامة سكيرج: كيف يا سيّدي حسن؟ قال: لمّا كنت بفاس رجعت إلى بيتك بعد صلاة الصّبح ثمّ نمت فرأيت في المنام أنّك سافرت ستّة أشهر ورأيت مدنا والتقيت بأناس تعرفهم وأضافوك، ولمّا أتت زوجتك توقظك للفتور قلت لها: كيف لم تحمدي لي بالسّلامة فإنّي كنت مسافرا. فقالت لك: لم تكن مسافرا بل نمت بعد صلاة الصّبح. وكان هو يظنّ أنّه أتى من السّفر ونام ليستريح. فقال: عندك الحقّ يا سيّدي حسن، وهذه الواقعة لم يعلم بها أحد غيري وزوجتي.

وزار سيّدي الحاج الأحسن مرّة الفقيه سكيرج وقضوا الليل في المذاكرة في علوم عالية، وعند الفراق أخرج العلامة سكيرج أوراقا من داخل جلبابه وقال: يا سيّدي حسن لا تظنّ أنّ مذاكرتك معي ذهبت سدى وضاعت، فها هي مسجّلة في هذه الأوراق لأحتفظ بها.

هذه بعض الوقائع التي يسّر الله جمعها في هذه العجالة تبين وجهها
آخر من وجوه شخصيّة العارف البعيلي الفدّة والمختلفة ربّما لا يعرفها
البعض. وحرصت على أن أخبر بها ساداتنا الحاضرين وغيرهم خدمة
لهذا الجنب الكريم ونشرا لمحاسنه ومناقبه وكراماته التي تدلّ على علوّ
مقامه علما وطريقة رضي الله عنه.

وإني إذ أحمد الله على ما وفّقني إليه من هذا العمل أعترف وأقرّ
أنّه لا فضل لي فيما كتبتّه إلّا القدرة الإلهيّة يسّرت لي جمع هذه
المعلومات لينتفع بها المحبّون لهذا السيّد ولمولانا الشيخ رضي الله
عنه ولطريقته ورجالها.

وقبل الختام أودّ أن أذكر الجميع أن هذه الليلة المباركة هي التي
استكمل فيها صاحب الذكرى العطرة ستّين سنة بعد وفاته. وقد تلقّيت
عن أفراد من خاصّة تلامذته أنّه كان رضي الله عنه أخبرهم في حياته
أنّه إذا أكمل ستّين سنة بعد وفاته، فسيظهر سرّه وتظهر علومه وكتبه
أو كما قال، وهذا من كراماته رضي الله عنه.

وقد بدأت مخايل إنجاز هذه البشارة التي تستحقّ لا محالة بحول
الله فوق ما يتصوّر، وإني على يقين أنّ تراثه المكتوب سيخرج للوجود
ويُنشر ويُدرس ويُعتنى به علميّا وتحقيقا، سواء التّراث المعروف أو
الذي في طيّ النسيان والإهمال.

وقبل هذه الليلة أي يوم 4 شوال الماضي حلت الذكرى المئوية لوفاة القطب الكبير سيدي الحاج الحسين الأفрани رضي الله عنه الذي لحق بربه يوم 4 شوال عام 1328، وهو شيخ صاحب الترجمة كما هو معلوم.

وأرجو بهذه المناسبة أن يعتني علماء الطريقة بالنتائج العلمي الضخم الذي خلفه هذان العالمان رضي الله عنهما تحقيقا ودراسة وطبعا ونشرا. ففي كتبهما ورسائلهما وإجازتهما العجب العجاب من العلوم والمعارف التي يمكن استنباطها من فتح الله بصيرته وأيده بتوفيق منه. وإنني دائما كنت ولا أزال أدعو إلى الاعتناء بكل تراث كل أكابر الطريقة وهي رغبة كل مثقفينا المخلصين. فهناك مئات المؤلفات وآلاف الوثائق تقبع في رفوف وصناديق الخزانات الخاصة والعامة تنتظر من ينفذ عنها غبار الإهمال وينقذها من ظلمات النسيان سواء في المغرب أو في كل بلدان العالم الإسلامي.

فعلينا كلنا مثقفين وغيرهم أن نقوم وقفة واحدة كرجل واحد بكل ما لدينا من إمكانيات مادية وتقنية ومعنوية لنحيي طريقتنا بإحياء ذكر علمائها ورجالها وإبراز أعمالهم ثقافة وسياسة وغير ذلك. فقد تركوا لنا رصيда هائلا نتحمل مسؤولية الحفاظ عليه ونشره وإشاعته في كل

أقطار العالم ليزداد الذين آمنوا إيماناً وليرتدع المبطلون والمرتابون والذين في قلوبهم مرض.

وأعطيكُم مثلاً مشرقاً ومشرقاً وهو الإنجاز العظيم في هذا المضمار الذي قام به إخواننا السنغاليون باتّحادهم وتعاضدهم وتساندهم في اندفاع جماعي فريد لإنقاذ أحد أعظم تراث الطريقة، وهو خزانة السلطان المجاهد الخليفة سيّدي الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه، التي تضمّ الآلاف من أنفس الكتب والوثائق، والتي اغتصبتها السّلاطات الفرنسيّة لمّا احتلّت بلاد مالي في أواخر القرن الثّاسع عشر. فقد تجتّدوا وجمعوا مبلغاً هائلاً لاسترداد تلك الخزانة وإرجاعها إلى السنغال وبنوا لها معهداً كبيراً يضمّها وغيرها من آثار ذلك الرّجل العظيم. وأعطوا بذلك مثلاً مشرقاً للإخوة التجانية ودرسا وعبرة لإخوانهم التجائيين بكلّ بلد.

وقفنا الله سبحانه مثلهم لخدمة هذه الطريقة المشرفّة التي نعزّز بالانتساب إليها ونتمنّى الثّبات عليها وعلى محبّة صاحبها سيّدنا الشّيخ رضي الله عنه. وقد كان العارف القطب سيّدي العربي بن السّائح رضي الله عنه إذا أتاه فقير يريد السّفر إلى مدينة فاس لزيارة الصّريح الأحمدّيّ الأنور، يقول: إذا حللت فاطلب من الله القبول والثّبات

جعلنا الله من المحبوبين المقبولين على أيّ حالة كُتِّبَتْنا على محبّة
سيّدنا رضي الله عنه وصحبته وثبّتهما لنا آمين.
اللهم صلّ على سيّدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق
ناصر الحقّ بالحقّ والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حقّ قدره
ومقداره العظيم.

عبد ربّه محمد الامزالي لطف الله به
وبأهله وأولاده وكلّ أحبّابه.

- 2..... الجزء الأول
- 4..... تقديم
- 6..... مقدمة وتنبیه
- 7..... نسبه وعائلته وولادته ونشأته:
- 9..... ولادته ونشأته:
- 11..... اختصار مراحل حياته رضي الله عنه:
- 16..... في مجال العلم:
- 19..... في مجال الطريقة:
- 23..... الجزء الثاني
- 28..... كرامتان لصاحب الترجمة:
- 29..... الكرامة الأولى، الاستقامة:
- 30..... الكرامة الثانية، هي البركة في العمر وفي كلّ الحركات:
- 32..... مناقبه رضي الله عنه:
- 37..... كرامات هذا السيّد
- 52..... الجزء الثالث
- 54..... مقاصدي في اختيار هذا الموضوع:

- 58..... بعض الوقائع بين الخليفة البعقلي والعلماء الكبار:
- 58..... مع بعض العلماء من الشّام:
- مع العلامة المحدث سيّدي محمد بن أحمد ألفاهاشم الفوتي رضي الله
 عنه 60
- مع العلامة الشّريف سيّدي أحمد مصباح بن محمد الأنجري أبو العيش:
 63.....
- 66..... مع الشّيخ شعيب الدّكالي الصّديقي:
- 71..... مع علماء وفقراء طنجة وتطوان والشّيخ الحيّ:
- 75..... مع العلامة سيّدي إدريس ابن المختار مقدّم الجديدة "تعريف وجيز"
- 76..... مع الفقيه العلامة سيّدي أحمد سكيّرج القاضي: